

والله اعلم بالصواب

121

Looloo

www.dvd4arab.com

$$|x|^{2\alpha} + |y|^{2\alpha} = |x + iy|^{2\alpha} = |z|^{2\alpha}$$

1990-1991

1997, 1998, 1999, 2000, 2001, 2002, 2003, 2004, 2005, 2006, 2007, 2008, 2009, 2010, 2011, 2012, 2013, 2014, 2015, 2016, 2017, 2018, 2019, 2020, 2021, 2022, 2023, 2024, 2025, 2026, 2027, 2028, 2029, 2030, 2031, 2032, 2033, 2034, 2035, 2036, 2037, 2038, 2039, 2040, 2041, 2042, 2043, 2044, 2045, 2046, 2047, 2048, 2049, 2050, 2051, 2052, 2053, 2054, 2055, 2056, 2057, 2058, 2059, 2060, 2061, 2062, 2063, 2064, 2065, 2066, 2067, 2068, 2069, 2070, 2071, 2072, 2073, 2074, 2075, 2076, 2077, 2078, 2079, 2080, 2081, 2082, 2083, 2084, 2085, 2086, 2087, 2088, 2089, 2090, 2091, 2092, 2093, 2094, 2095, 2096, 2097, 2098, 2099, 2100, 2101, 2102, 2103, 2104, 2105, 2106, 2107, 2108, 2109, 2110, 2111, 2112, 2113, 2114, 2115, 2116, 2117, 2118, 2119, 2120, 2121, 2122, 2123, 2124, 2125, 2126, 2127, 2128, 2129, 2130, 2131, 2132, 2133, 2134, 2135, 2136, 2137, 2138, 2139, 2140, 2141, 2142, 2143, 2144, 2145, 2146, 2147, 2148, 2149, 2150, 2151, 2152, 2153, 2154, 2155, 2156, 2157, 2158, 2159, 2160, 2161, 2162, 2163, 2164, 2165, 2166, 2167, 2168, 2169, 2170, 2171, 2172, 2173, 2174, 2175, 2176, 2177, 2178, 2179, 2180, 2181, 2182, 2183, 2184, 2185, 2186, 2187, 2188, 2189, 2190, 2191, 2192, 2193, 2194, 2195, 2196, 2197, 2198, 2199, 2200, 2201, 2202, 2203, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2209, 2210, 2211, 2212, 2213, 2214, 2215, 2216, 2217, 2218, 2219, 2220, 2221, 2222, 2223, 2224, 2225, 2226, 2227, 2228, 2229, 2230, 2231, 2232, 2233, 2234, 2235, 2236, 2237, 2238, 2239, 2240, 2241, 2242, 2243, 2244, 2245, 2246, 2247, 2248, 2249, 2250, 2251, 2252, 2253, 2254, 2255, 2256, 2257, 2258, 2259, 2260, 2261, 2262, 2263, 2264, 2265, 2266, 2267, 2268, 2269, 2270, 2271, 2272, 2273, 2274, 2275, 2276, 2277, 2278, 2279, 2280, 2281, 2282, 2283, 2284, 2285, 2286, 2287, 2288, 2289, 2290, 2291, 2292, 2293, 2294, 2295, 2296, 2297, 2298, 2299, 2300, 2301, 2302, 2303, 2304, 2305, 2306, 2307, 2308, 2309, 2310, 2311, 2312, 2313, 2314, 2315, 2316, 2317, 2318, 2319, 2320, 2321, 2322, 2323, 2324, 2325, 2326, 2327, 2328, 2329, 2330, 2331, 2332, 2333, 2334, 2335, 2336, 2337, 2338, 2339, 2340, 2341, 2342, 2343, 2344, 2345, 2346, 2347, 2348, 2349, 2350, 2351, 2352, 2353, 2354, 2355, 2356, 2357, 2358, 2359, 2360, 2361, 2362, 2363, 2364, 2365, 2366, 2367, 2368, 2369, 2370, 2371, 2372, 2373, 2374, 2375, 2376, 2377, 2378, 2379, 2380, 2381, 2382, 2383, 2384, 2385, 2386, 2387, 2388, 2389, 2390, 2391, 2392, 2393, 2394, 2395, 2396, 2397, 2398, 2399, 2400, 2401, 2402, 2403, 2404, 2405, 2406, 2407, 2408, 2409, 2410, 2411, 2412, 2413, 2414, 2415, 2416, 2417, 2418, 2419, 2420, 2421, 2422, 2423, 2424, 2425, 2426, 2427, 2428, 2429, 2430, 2431, 2432, 2433, 2434, 2435, 2436, 2437, 2438, 2439, 2440, 2441, 2442, 2443, 2444, 2445, 2446, 2447, 2448, 2449, 2450, 2451, 2452, 2453, 2454, 2455, 2456, 2457, 2458, 2459, 2460, 2461, 2462, 2463, 2464, 2465, 2466, 2467, 2468, 2469, 2470, 2471, 2472, 2473, 2474, 2475, 2476, 2477, 2478, 2479, 2480, 2481, 2482, 2483, 2484, 2485, 2486, 2487, 2488, 2489, 2490, 2491, 2492, 2493, 2494, 2495, 2496, 2497, 2498, 2499, 2500, 2501, 2502, 2503, 2504, 2505, 2506, 2507, 2508, 2509, 2510, 2511, 2512, 2513, 2514, 2515, 2516, 2517, 2518, 2519, 2520, 2521, 2522, 2523, 2524, 2525, 2526, 2527, 2528, 2529, 2530, 2531, 2532, 2533, 2534, 2535, 2536, 2537, 2538, 2539, 2540, 2541, 2542, 2543, 2544, 2545, 2546, 2547, 2548, 2549, 2550, 2551, 2552, 2553, 2554, 2555, 2556, 2557, 2558, 2559, 2560, 2561, 2562, 2563, 2564, 2565, 2566, 2567, 2568, 2569, 2570, 2571, 2572, 2573, 2574, 2575, 2576, 2577, 2578, 2579, 2580, 2581, 2582, 2583, 2584, 2585, 2586, 2587, 2588, 2589, 2590, 2591, 2592, 2593, 2594, 2595, 2596, 2597, 2598, 2599, 2600, 2601, 2602, 2603, 2604, 2605, 2606, 2607, 2608, 2609, 2610, 2611, 2612, 2613, 2614, 2615, 2616, 2617, 2618, 2619, 2620, 2621, 2622, 2623, 2624, 2625, 2626, 2627, 2628, 2629, 2630, 2631, 2632, 2633, 2634, 2635, 2636, 2637, 2638, 2639, 2640, 2641, 2642, 2643, 2644, 2645, 2646, 2647, 2648, 2649, 2650, 2651, 2652, 2653, 2654, 2655, 2656, 2657, 2658, 2659, 2660, 2661, 2662, 2663, 2664, 2665, 2666, 2667, 2668, 2669, 2670, 2671, 2672, 2673, 2674, 2675, 2676, 2677, 2678, 26

ملف المستقبل

في مكان ما من أرض (مصر) ، وفي حقبة ما من حقبة المستقبل ، توجد للقيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، بدور العمل فيها في هدوء تام ، وسرية مطلقة ، من أجل حماية التقدم العلمي في (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التي هي المقياس الحقيقي لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره في عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمي ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل ..

د. نبيل فاروق

١ - انفجار ..

لم تكد الشمس تغرب ، في ذلك اليوم من أيام أغسطس ، على تلك المنطقة الهادئة الراقية ، من مدينة (السادس من أكتوبر) ، حتى اضيئت مصابيح الشوارع الإلكترونية ، بفضل الخلايا الضوئية الراقية(*) ، المسنولة عن تشغيلها ، وخلت الشوارع من المارة إلا قليلاً ، وقد تشغل الجميع في متابعة مباراة كرة قدم مهمة ، على شاشة الهولوفيزيون(**) ، بين الفريق القومي المصري ، وفريق (ليفربول)

(*) الخلية الضوئية : نوع من الصمامات المفرغة ، ذات خاصية محدودة ، إذ إنها تصبح موصلة للتيار ، عند تعريضها للضوء ، والأنواع الحديثة منها تستخدم طبقات رقيقة في البوتاسيوم والمعادن الأخرى ، التي تبعث الإلكترونات ، تحت تأثير الضوء ، وهي تستخدم في مصابيح الطرق ، والأبواب الآلية ، إذ يؤدي توقف الانبعاث إلى توصيل التيار الكهربائي ، عند قطع مسار الإنشاء .

(**) الهولوفيزيون : جهاز تليفزيون ثلاثي الأبعاد ، يعتمد على أشعة الليزر ، بحيث تبدو فيه الصورة مجسمة ، وليست مسطحة كالجهزة لتليفزيون المعتادة .

الإنجليزى ، وراح الظلام يتسلل إلى المدينة رويداً رويداً ، فتضاء نوافذ تلك الغيالات الصغيرة تباعاً ، ويحل الليل والهدوء محل الصباح والحركة والنشاط ، و ... وفجأة حدثت تلك الرجّة ..

ارتجاجة قوية مباغتة ، مصحوبة بفرقة مكتومة ، سرت فى الحى كله ، على نحو أثار ازعاج وتوتر الجميع ، فهتف أحد سكان المنطقة فى حلق :

- يا للسخافة ! إلى متى سنحتمل كل هذا ؟!

قالها ، وألقى نظرة عبر النافذة الكبيرة ، على الفيلا المقابلة له تماماً عبر الشارع ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- كيف يسمحون لمأفون مثله بالعيش ، وسط مجتمع سكتى هلاى كهذا ؟!

ابتسمت زوجته ، وهى تربّت عليه ، قائلة :

- كلنا نعلم أن الدكتور (وائل شوقى) ليس مأفوناً بالتأكيد ؛ فالرجل واحد من علماء الطاقة المعدودين ، فى (مصر) والعالم ، وله أبحاثه الرائعة ، التى نال عنها جائزة (نوبل) فى الفيزياء والطاقة ، مع مطلع القرن الحادى والعشرين .

مطّ زوجها شفتيه ، وهو يتابع المباراة ، قائلاً :

- ربما كان هذا فى الماضى ، قبل أن يصاب بالجنون .

رمقته زوجته بنظرة جاتبية ، وهى تقول :

- الرجل لم يصب بالجنون قط ، فقد كان ومازال عبقرياً فذاً فى مجاله .. كل ما فى الأمر هو أن سنوات عمره ، التى تجاوزت الستين ، دفعتّه إلى التقاعد وإن لم يتوقف عن إجراء أبحاثه وتجاربته بعد .

لوح زوجها بذراعه ، قائلاً فى سخط :

- فليذهب إلى الصحراء إذن ! ما نذبنا نحن لنحتمل كل هذا الإزعاج ؟!

هزّت كتفها ، قائلة بابتسامة كبيرة :

- من يدري ؟! ربما خرج علينا هذا الإزعاج بنظرية جديدة ، تغلب موازين العلم رأساً على عقب .

قال فى سخرية :

- نظرية جديدة ؟!

ثم استرخى أكثر فى مقعده ، متابعاً :

- مشكلتك أن دراستك العلمية الفيزيائية تجعلك تميلين إلى الإيمان بهذا المأفون ، الذى لم يغادر منزله منذ شهر كامل ، بحجة اتهامه فى إجراء

تجاربه المزعجة ، التي تعكر صفو حياتنا ، أما أنا
فرجل عملي واقعي ، لا يمكن أن أنهر بمثل هذه
الخرعبلات .

هتفت مستنكرة :

- خرعبلات ؟! هل تعتبر ما يفعله الدكتور (وائل
شوقي) مجرد خرعبلات ؟!
زمر ، قائلًا :

- بل اعتبر ما يفعله أكثر إزعاجًا مما يفعله ابننا
الصغير ، عندما يحلوه له الدق على طبلته ، بعد
منتصف الليل .

مطت شفتيها ، قائلة :

- أنت متحيز تمامًا ضد الرجل .

هتف في حدة :

- وأنت منحازة إليه تمامًا .. هيا .. دعينا نلق كل
هذا خلف ظهرينا ، حتى تنتهي المباراة .

ثم عقد حاجبيه ، متابعًا في سخط :

- وأتعشتم ألا يباعتنا مافونك هذا بانفجار هذه

المرة ، أو ...

وقبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار .

انفجار مباغت ، عنيف ، دفع الرجل عن الأريكة
في عنف ، فارتطم بالمنضدة الصغيرة أمامه ، وسقط
معها أرضًا ، وإلى جواره زجاجة المياه الغازية ، التي
كانت على المنضدة ، وهتفت زوجته مذعورة ، وهي
تحاول النهوض من سقطتها :

- رباه ! ماذا حدث ؟!

قفز زوجها إلى النافذة في غضب هادر ، وهو
يهتف :

- لو أن ذلك المافون هو المسنول ، فسوف ...

بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ،
وسقط فكه السفلي في بلاهة ، وهو يحذق في ذلك
المشهد العجيب أمامه ..

فهناك ، عند فيلا الدكتور (وائل شوقي) ، أو ما تبقى
منها ، كان هناك قوس يتألق على نحو مخيف ..
قوس بدا وكأنه نصف دائرة من التيران أحاطت
بالفيلا ، عند منتصفها تمامًا ..

وداخل قوس الذهب هذا ، اختفى النصف الخلفي
من الفيلا ..

اختفى تمامًا ..

ليس هذا فحسب ، وإنما بدا الأمر وكأن هناك
عاصفة جليدية رهيبة ، تحدث داخل قوس اللهب ..
عاصفة ، زادت من غرابة المشهد ورهبته ..
الجليد والنار اجتماعا في قوس واحد ..
ويا لها من صورة !!

وفي ذهول مذعور ، حدق الجميع في ذلك المشهد
الرهيب ، قبل أن يهتف أحدهم في انفعال شديد :
- رباه ! الدكتور (وائل) .

اتجهت أنظار الجميع إلى حيث يشير الرجل ،
واتسعت عيونهم في ارتياح ..

فمن الباب الرئيسى للفيلا ، خرج الدكتور (وائل) ،
في حالة مزرية للغاية ..
بل مخيفة ..

نصف وجهه احترق ، وثيابه تمزقت على نحو
بشع ، وساقه اليسرى تنزف منها الدماء في غزارة ،
وهو يمد يدا نصف محترقة ، وكأنما ينشد من يمد له
يد العون ، وشفتاه تتمتمان بعبرة غير مفهومة ،
وهو يعبر حديقة الفيلا في صعوبة ، محاولاً بلوغ
سورها القصير ..

وفي هلع ، هتفت الزوجة :

- يا إلهي ! للرجل يحتاج إلى النجدة .

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى اندفع زوجها يعدو بكل
قوته خارج المنزل ، وعبر حديقة فيلته بقفزتين
واسعتين ، ثم عبر الشارع ، ووثب متجاوزاً سور
حديقة فيلا الدكتور (وائل) ، على الرغم من وجود
قوس اللهب المخيف ، واندفع يلتقط الرجل بين
ذراعيه ، قبل أن يسقط أرضاً ، وهو يهتف في توتر
قلق :

- أنت بخير يا دكتور (وائل) .

رفع عالم الطاقة عينيه إليه في صعوبة ، ولوح
بشبابته نصف المحترقة في ضعف ، وهو يتمتم :
- إنهم هنا .

خيل للرجل أنه لم يسمعه جيداً ، فقال في توتر :
- ماذا ؟!

لوح الدكتور (وائل) بشبابته مرة أخرى ، وهو
يلهث ، مقمضاً :

- لقد حاولت منعهم ، ولكننى لم أستطع .. لم
أستطع .

بدا الأمر للرجل أشبه بهذيان مصاب ، فاتحنى فى
رفق ، ليرقد الرجل أرضاً ، فوق الحشائش الصغيرة
لحديقة فيلته ، وهو يقول متعاطفاً :

— اهدأ يا دكتور (وائل) .. اهدأ .. كل شيء
سيسير على ما يرام بإذن الله .. سيارة الإسعاف
ستصل بسرعة ، و ...

قاطعته الدكتور (وائل) ، وهو يلهث بشدة ، قائلاً :

— أنا .. أنا المسئول .

ثم قبضت أصابعه على قميص الرجل فى قوة
مباغثة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وتلاحقت أنفاسه
على نحو مخيف ، وهو يهتف فى صعوبة :

— سامحنى .. سامحنى جميعاً .

قال الرجل فى دهشة :

— نسامحك ؟! على ماذا ؟!

استدار الدكتور (وائل) ، بكل ما تبقى فى جسده
من قوة وإرادة ، وأشار إلى بقايا فيلته ، وقوس
الذهب المحيط بها ، وهو يتمتم :

— أنا المسئول .. له ..

ارتفع صوت بوق سيارة الإسعاف ، فى نفس

للحظة التى بتر فيها عبارته ، وأطلق من حلقه شهقة
مكتومة ، وعيناه تجحطان بشدة ، ثم يتهاوى دفعة
واحدة ..

وفى زعر ، حنق الرجل فى جثة الدكتور (وائل) ،
قبل أن يرفع عينيه إلى قوس الذهب الذى بدأ يتلاشى
فى بضع ، وعقله يسترجع كلماته الأخيرة ..

« سامحنى .. أنا المسئول .. »

وبكل قلقه ، وذعره ، وخوفه ، وتوتره ، راح الرجل
يسترجع تلك الكلمات مرات ومرات ، وعيناه لا تفارقان
تلك القوس الرهيب ، الذى راح يتلاشى ..
ويتلاشى ..
ويتلاشى ..

★ ★ ★

أصدر محرك سيارة (أكرم) القديمة صوتاً عالياً
مزعجاً ، وهو يندفع بها داخل ذلك الحى الراقى ، فى
مدينة (السلاسل من أكتوبر) ، فاعترض أحد رجال
الشرطة المحيطين بالمنطقة طريقه ، واستوقفه
بإشارة صارمة ، قبل أن يتقدم إليه ، قائلاً فى
صرامة :

- مهلاً يا سيدي .. سيارتك تصدر أصواتاً عالية للغاية ، ومحركها القديم يحتاج إلى تعديل ، حتى لا يخرج كل هذا القدر من الدخان والعوادم ، والأمران يخالفان قانون البيئة .

نوح (أكرم) بيده ، قائلاً :

- فليكن أيها الضابط .. سأراعي هذه الأمور في المستقبل ، أما الآن فلنا على عجلة من أمرى .. إذ إبنى ... قاطعه الضابط ، وهو يدون المخالفة ، على جهاز الكمبيوتر المحمول في حزامه :

- لو أنك دائماً على عجلة من أمرك ، فأنصحك بأن تستبدل بهذه السيارة العتيقة سيارة كهربائية حديثة .. هذا أفضل لك ، وللبيئة المحيطة بك .

انعقد حاجباً (أكرم) ، وهو يسأله في حدة :

- ماذا تفعل ؟! هل ستدوّن المخالفة ؟!

أشار الضابط بسبابته ووسطاه ، قائلاً :

- مخالفتان يا سيدي .. واحدة للضوضاء ، وأخرى

لفساد المحرك .

حاول (أكرم) أن يبتسم في عصبية ، وهو يبرز

بطاقته ، قائلاً :

- أنت لا تفهم الأمر .. إبننا زميلان .. أنا أعمل في المختبرات العلمية .

رفع الضابط حاجبيه ، هاتفاً ، وهو يلقي نظرة على البطاقة :

- حقاً ؟!

ابتسم (أكرم) في ارتياح ، وهو يعيد البطاقة إلى حافظته ، قائلاً :

- نعم .. حقاً أيها الضابط .. أشكر لك تفهمك .. سأوصي بك خيراً ، و ...

قاطعه الضابط مرة أخرى بابتسامة كبيرة :

- كونك أحد رجال المختبرات العلمية ، يفرض عليك الاهتمام أكثر بالبيئة يا سيدي .

ثم مال نحوه ، وأدى التحية العسكرية في احترام ، مستطرداً :

- ولا تنس دفع المخالفتين ، فالمبلغ يتضاعف بعد مرور أسبوع ، طبقاً للقوانين الجديدة .

احتقن وجه (أكرم) في غضب ، وهو يقول في عصبية :

- اطمئن .. لن أنسى .

ثم اندفع بالسيارة ، وهو يلوح بيده ، مستطرذا في حدة :

- أيام جدى ، لم يكن رجال الأمن يحزرون المخالفات بعضهم للبعض .

ابتسم الضابط فى سخرية ، وهو يرفع عينيه بدهشة مصطنعة ، قائلاً :

- آه .. فهنت الآن ممن ورثت هذه السيارة العتيقة .

قالها ، وانفجر ضاحكاً مع زملائه ، فعقد (أكرم) حاجبيه أكثر ، وهو يغمغم ساخطاً :

- ولم يكونوا يسخر بعضهم من البعض أيضاً . وهتف فى حنق :

- ثم من قال : إن سيارتى تصدر أصواتاً مزعجة . كان يتجه مباشرة نحو موقع فيلا الدكتور (وائل) ، وأدهشه أن التفت الجميع إليه فى اهتمام متوتر ، فغمغم ، وهو يثب من السيارة :

- عجباً ! يبدو أن الجميع فى انتظارى .

وقع بصره على (نور) ، الذى اتهمك فى الحديث مع الجار ، الذى هب لنجدة الدكتور (وائل) قبل أن

يلقى مصرعه . فأتجه إليه فى خطوات واسعة ، ولوح بيده ، قائلاً :

- مرحباً يا (نور) .. هل تحدثت مع الكثيرين قبل وصولى !؟

أشار إليه (نور) بيده ، قائلاً :

- كلا .. لقد تحدثت مع الأستاذ (حسن) فحسب ..

إنه الشاهد الرئيسى فى الحادث .

قال (أكرم) فى دهشة :

- عجباً ! المفترض أننا هنا بسبب انفجار عنيف ،

مصحوب بظاهرة غير طبيعية ، فكيف يكون هناك

شاهد رئيسى واحد !؟

أجابه (نور) :

- الجميع هنا شاهدوا ما حدث ، ولكن الأستاذ

(حسن) وحده سمع كلمات الدكتور (وائل) الأخيرة .

اندفع الأستاذ (حسن) بعيد ما قاله فى توتر :

- لقد أخبرت سيادة المقدم (نور) أن كل ما قاله

الرجل ، قبل أن يلقى مصرعه هو : سامحونى .. أنا

للمصنول ..

سأله (أكرم) :

- المصنوع عن الانفجار ؟!

هز (حسن) كتفيه ، وقال :

- بل أعتقد أنه كان يقصد قوس الذهب ، فقد أشار إليه .

غمغم (أكرم) ، وهو يدير عينيه فيما حوله في حيرة :

- قوس الذهب ؟!

أجاب (حسن) في توتر شديد :

- لقد كان هنا ، عندما حدث ذلك الانفجار .. إننا لا ندري حتى كيف تلاشى شيء هائل كهذا ؟!

ثم راح يلوح بذراعيه ، وكأنما يحاول وصف المشهد ، وهو يتابع :

- لقد كان قوساً هائلاً ، أشبه بنصف دائرة مشتعلة ، تحيط بمنصف الفيل تماماً .. وبداخلها عاصفة جليدية عاتية .. لا تسألني كيف يجتمع هذا وذاك ، ولكنهما اجتماعاً في مشهد رهيب ، لست أظن أحداً يمكنه نسيانه قط .. وذلك القوس كان يلتهم نصف الفيل بأكمله .

تطلع (أكرم) إلى الفيل ، وهو يقول في حذر :

- يلتهمه ؟!

هتف الرجل في انفعال :

- لم يلتهمه بالمعنى الحرفي ولكن ...

بدت عليه الحيرة ، وكأنما يحاول البحث عن كلمات مناسبة ، لوصف ما رآه ، ثم لم يلبث أن قال في عصبية :

- لقد كان نصف الفيل بأكمله مختفياً ، وكأنما لم يعد له وجود أو ... أو ...

ربت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- لا عليك .. إننا نستطيع استيعاب ما تصفه .

أكمل (أكرم) في شيء من السخرية العصبية :

- بعد كل ما مررتنا به .

لم يفهم الأستاذ (حسن) عبارة (أكرم) ، فتطلع إليه في دهشة حائرة ، جعلت (نور) يربت على كتفيه مرة أخرى ، قائلاً :

- لا بأس يا أستاذ (حسن) .. لا بأس .. إننا نشكرك كثيراً على تعاونك ، وأرجو أن تعتمر ذهنك ، وتحاول أن تتذكر أية كلمة نطق بها الدكتور (وائل) رحمه الله ، فكل شيء قد يكون ذا فائدة عظيمة لنا .

انفجرت شفتا (حسن) ، وهم يقول شيء ما ، ثم
لم يلبث أن غمغم :

- بالتأكيد يا سيادة المقدم .. بالتأكيد .

راقبه الاثنان في هدوء ، حتى ابتعد لمصافة كاملة ،

قبل أن يسأل (أكرم) في حيرة متوترة :

- هل تفهم شيئاً ؟

أجابه (نور) في هدوء :

- الأمور لم تتضح بعد ، فما رآه الشهود قد يكون

مجرد ظاهرة كهرومغناطيسية ، نشأت من تجربة

فاشلة للدكتور (وال) رحمه الله .. لا تتس أنه كان

أحد علماء الفيزياء والطاقة الأفذاذ ، والعلامة لم

يعتادوا رؤية مثل هذه الظواهر ، التي ستبدو لهم

مخيفة ومذهلة بالتأكيد .

هز (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- وماذا عن اختفاء نصف الفيلا ؟!

أشار (نور) إلى المكان ، مجيباً :

- لاحظ أن الجميع قد شاهدوا الحادث من زاوية

رؤية واحدة تقريباً ، وهذا يضع أمامنا احتمالاً كبيراً

لظواهر الخداع البصري .

وتنهّد في عمق ، قبل أن يستطرد :

- ثم إننا لن نستطيع الجزم بأي شيء ، قبل

وصول باقي أعضاء الفريق ، واستكمال البحث

والتحريات .

ارتفع حاجبا (أكرم) في دهشة ، وهو يقول :

- هل سيأتى الجميع ؟!

ابتسم (نور) ، قائلاً :

- هذا أمر طبيعي يا (أكرم) ، فـ (سلوى) خبيرة

في الصوتيات ، وهذا جزء مهم من أبحاث الدكتور

(وال) ، و (نشوى) خبيرة الكمبيوتر في الفريق ،

والوحيدة التي قد يمكنها استعادة بعض وثائق الرجل ،

بعد تحطم جهاز الكمبيوتر الخاص بأبحاثه .

سأله (أكرم) :

- وماذا عن (رمزي) ؟

أجابه (نور) في سرعة :

- إنه الخبير النفسي للفريق .

سأله (أكرم) في حيرة :

- وما صلة حادث كهذا بالطب النفسي ؟!

أجابه (نور) ، وهو يستند إلى سيارته :

- هؤلاء الشهود اصطدموا بتفجار مباغت ، مصحوب
بظاهرة مخيفة ، لم يستطيعوا تفسيرها ، ومن الطبيعي
فى أحوال كهذه ، أن يصيبهم الاضطراب والارتباك ،
مما يعنى أن أقوالهم ستفتقر إلى الدقة والموضوعية
اللازميتين ، والشخص الوحيد ، الذى يمكنه تمييز
الجزء الصحيح من غير الصحيح ، فى ظروف كهذه ،
هو طبيب نفسى بارع .

ثم ربت على كتفه ، مستطرذا .

هل فهمت الآن ، لماذا نحتاج إلى الفريق كله ؟!

هز (أكرم) رأسه ، قائلاً :

- ليس هذا فحسب يا (نور) ، ولكننى أتساءل
الآن ، ماذا أفعل أنا هنا ؟!

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يربت على ظهره
ثانية ، ويقول :

- من يدري .. ربما كنت أكثر الموجودين أهمية .

ابتسم (أكرم) فى سخرية ، وقال :

- مجاملة أنيقة يا (نور) ، و ...

بئر عبارته بقة ، وانعقد حاجباه ، وهو يتطلع
بعيدا ، قبل أن يقول فى توتر :

- يبدو أنه ليس الفريق وحده من سيأتى إلى هنا
يا (نور) .

أدار (نور) عينيه ، إلى حيث يشير (أكرم) ،
وانعقد حاجباه بدوره ، وهو يتابع سيارة جريدة
(أنباء الفيديو) المرنية ، وهى تقترب من المكان .
وقال :

- إنها زوجتك (مشيرة) .

تنهد (أكرم) ، قائلاً :

- حذار منها يا (نور) ، فهى شديدة العصبية ،
منذ فقدت حملها .

لم يعلق (نور) على العبارة ، وإنما أشار إلى
سيارة أخرى ، سطعت أضواء مصابيحها من بعيد ،
وهو يقول :

- يبدو أن الرفاق قد وصلوا أيضا

حاول أن يتجاهل وجود (مشيرة) ، إلا أنها لم
تكد تصل إلى المكان حتى هرعت إليه ، وخلفها أحد
المصورين ، وهتفت :

- آه . للمقتم (نور الدين) هنا .. ترى ما الذى يمكن
أن يعنيه اهتمام المخابرات العلمية بما حدث هنا ؟!

توقف ، قائلًا في حزم :

- إنه لا يعنى شيئاً خاصاً يا سيّدة (مشيرة) ..
القانون يحتم وجود أحد المسؤولين بالمخابرات العلمية ،
فى كل حادثة ترتبط بظاهرة غير مألوفة .

ابتسمت فى خبث ، قليلة :

- آه .. هذا اعتراف إذن بأن الحادث قد ارتبط
بأحد الظواهر الخارقة .

هز رأسه ، مجيباً :

- لم يشر أحد إلى الظواهر الخارقة ، كل ما قلته
هو : إنها ظاهرة غير مألوفة ، وهذا يعنى أنها ظاهرة
طبيعية ، ولكن العامة لم يأنفوا رؤيتها أو التعامل
معه ، وهذا أمر يختلف تمامًا .

سألته فى دهاء :

- إذن فأنت تؤكد ، على مسئوليتك الشخصية ، أن
ما حدث هنا مجرد أمر عادى .

كان سؤالاً خبيثاً للغاية منها ، إذ إن وجود (نور) ،
فى مسرح الحادث ، يمنحه صفة رسمية ، فى التحدث
بلسان المخابرات العلمية ، وإى جواب يصدر عنه ،
سيعد تصريحاً رسمياً ، وهو فى الوقت نفسه لا يستطيع

الموافقة على عبارتها أو نفيها ، دون أن تطارده بسؤال
ثان أو ثالث ، حتى يتعقد الأمر أكثر وأكثر ، و ...
« لم يحن بعد وقت إصدار تصريحات رسمية
يا سيّدة (مشيرة) .. »

أنقذته (سلوى) بقولها هذا ، من التورط فى أى
جواب رسمى ، فالتفتت إليها (مشيرة) فى غضب ،
حاولت أن تخفيه أمام عدسة آلة التصوير للهولوغرامى ،
وهى تقول :

- آه .. الفريق كله وصل .. ترى أما زال هذا
يعنى أن الأمور بسيطة عادية ؟
أجابتها (سلوى) فى سخرية :

- كل ما يعنيه هذا هو أن المخابرات العلمية تولى
اهتمامها دائماً ، لكل حادث يقلق المواطنين ، وأنها
تؤدى واجبها دائماً ، على الرغم من هذه السخافات .
ارتفع حاجبها (مشيرة) فى دهشة ، وهمت بقول
شيء ما ، ولكن (نور) وأد كلماتها فى حلقها ، وهو
يشير بيده ، قائلًا :

- هذا يكفى .. لا أحاديث أخرى ، قبل أن نتم
عملنا هنا .

قالت في عناد :

- وماذا لو تابعتكم آلة التصوير في أثناء الـ ...

قاطعها في صرامة :

- هذا محظور قانوناً .

قلها ، واتجه مع فريقه إلى الفيلا ، التي انهار جزء من جدارها الخلفي . وتبعثرت منه عشرات الملفات وأسطوانات الكمبيوتر المدمجة . فتمتمت (نشوى) :

- يا إلهي ! أعتقد أن أمامي الكثير من العمل هنا .

ابتسمت (ملوى) ، قائلة :

- إنه عمل تقليدي على أية حال .

هتف (أكرم) :

- أخيراً .

ثم ألقي نظرة عبر إحدى النوافذ المكسورة ، قبل أن يضيف :

- دعونا نعترف أن (مشيرة) دقيقة ونشيطة ، ومخلصة لعملها للغاية .. إنها تتحدث إلى الجميع في آن واحد .. أراهن على أنها تستطيع الحصول على المعلومات ، بأفضل مما نفعل نحن

ضحكت (ملوى) ، قائلة :

- هذا أمر طبيعي . فكل الناس تنفتح شهيتهم

للحديث ، أمام عذمت التصوير .

قالت (نشوى) مبتسمة ، وهي تلتقط إحدى

الأسطوانات المدمجة :

- لماذا لا تستخدم آلة تصوير في أثناء عملنا إذن ؟!

ابتسم (أكرم) ، قائلاً :

- هذا يعني أننا ..

بتر عبارته بفتة ، على نحو جعل الجميع يلتفتون

إليه في دهشة ، وغمغت (نشوى) في قلق بالغ ،

عندما شاهدت انعقاد حاجبيه ، وانقلاب سحنه :

- ماذا حدث يا (أكرم) ؟!

فوجئت به يطلق زمجرة مخيفة ، ثم ينتزع

مسدسه في سرعة ، ويصوبه نحوها ، و ...

وسقطت الأسطوانة من يده (نشوى) ..

واتطلقت من حلقها صرخة ..

صرخة تموج بكل الدهشة ..

والذعر .

★ ★ ★

٢ - الظل ..

بذل المهندس (شريف) جهدا حقيقيا ؛ ليقي
عينيه مفتوحتين ، في تلك الليلة ، وهو ينطلق
بسيارته ، عبر الطريق المباشر الجديد ، عائداً إلى
منزله ، في مدينة (الساس من أكتوبر) ..

كان قد عمل لاثنتي عشرة ساعة متصلة ، لإصلاح
عطب طارئ ، أصاب شبكة الاتصالات العامة ، على
نحو لا مثيل له ، منذ بناء (القاهرة الجديدة) ،
وتملكه التعب والجهد ، حتى تمنى أن يصل إلى فراشه ،
بأسرع وسيلة ممكنة ..

وما إن لاحظ له أضواء المدينة ، في نهاية الطريق ،
حتى ارتسمت على شفثيه ابتسامة مجعدة ، وغمغم :
- أخيراً .

وبصورة لا شعورية ، زاد من ضغط قدمه على
دواسة السرعة ، فوثبت السيارة إلى الأمام ، وضاعفت
من التهامها للطريق ، و ...



وسقطت الاسطوانة من يد « شوي » ..

وانطلقت من حلقها صرخة ..

وفجأة ، ظهر أمامه ذلك الرجل ..

كان يعبر الطريق في خطوات هادئة للغاية ، وسط
الظلام الدامس ، في تلك البقعة الجديدة ، التي لم يتم
توصيل المصابيح الكهربائية إليها بعد ..

وعندما سقطت أضواء السيارة عليه ، التفت إليها
في حركة سريعة للغاية ..

ولو هلة ، خيّل للمهندس (شريف) أن عيني
الرجل قد تألفتا بسريق أحمر عجيب ، كما لو أنهما
عينا قط ، تلتصقان في الظلام ..

ولقد أربك هذا المهندس (شريف) بشدة ،
فضغطت قدمه على دواسة السرعة بقوة أكثر ، بدلا
من أن تنتقل إلى الفرامل ، فوثبت السيارة وثبة
عنيفة ، وأطلق (شريف) صرخة مذعورة . و ...
وحدث الاصطدام ..

اصطدمت السيارة بالرجل في قوة ، وانتزعت من
مكانه ، وألقته أربعة أمتار كاملة ، قبل أن يرتطم
بالأرض ، وتهمد حركته تماما ..

ولثوان ، ظل المهندس (شريف) داخل سيارته ،
ممسكا عجلة القيادة بأصابعه العشرة في قوة ، وقد

اتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق في الجسد
المسجي أمامه ، على مسافة أربعة أمتار ، والذي بدا ،
تحت ضوء مصباحي السيارة ساكنا خلامدا ، لا أثر
للحياة فيه ..

ثم فجأة ، انتفض جسد (شريف) ، وهتف في
ارتياح :

- رباه ! ماذا فعلت !؟ ماذا فعلت !؟

حدق مرة أخرى في الجسد الهامد ، قبل أن ينتزع
نفسه من مقعده لتزاعا ، ويفادر للسيارة ، ليقف إلى
جوارها مرتجفا ، وعيناه لا تفارقان ذلك الجسد ..

ولبعض الوقت ، راودته فكرة الفرار ، والابتعاد
عن المكان بأقصى قدر ممكن ، أو العودة لمنزله ،
وتجاهل الأمر تماما ، وكأنما لم يكن ، خاصة وأن
المنطقة ساكنة مقفرة ، لا يمكن أن يكون قد رآه أو
شعر به أحد ..

فيما عدا ذلك الشخص ، الرائد على بعد أربعة
أمتار منه ..

وفي أعماقه تساعل : ما الذي كان يفعله هنا !؟
ولماذا كان يعبر الطريق ، وسط الظلام الدامس !؟

إن أقرب منطقة مأهولة تبعد كيلو مترين على الأقل ، وهو لا يلمح من حوله سيارة معطلة ..

ثم إنه لو تعطلت سيارة الرجل ، لكان من الطبيعي أن يسير بمحاذاة الطريق ، في اتجاه المدينة ، وليس عكسه ، نحو واجهة مجهولة !!

وفي النهاية تغلب ضميره ، وحسم المسألة ..

لا يمكنه أبداً أن يترك الرجل هنا ..

لا يمكن أن يتخلى عنه ، بعد أن صدمه بسيارته ..

لا بد أن يفعل شيئاً ..

أى شيء ..

انتزعه قراره الأخير من مكانه ، وجطه يحدو نحو

الرجل ، وينحنى لفحصه في اهتمام بالغ ..

وهو قلبه بين قدميه ..

إنه لم يشعر بأية علامة من علامات الحياة فيه ..

لا عرق ينبض ، أو أنفاس تتردد ..

ومرة أخرى روادته فكرة الفرار ..

ومرة أخرى أيضاً ، وأدناها ضميره في أعماقه ،

فراح يجذب الرجل إلى سيارته ، بكل ما يملك من

جهد ، وتلاحقت أنفاسه في صعوبة ، عندما انتهى من

مهمته ، وعلى الرغم من هذا فقد انطلق بالسيارة على الفور ، وقلبه يخفق في قوة ، حتى بلغ مستشفى (السادس من أكتوبر) ، وهناك هتف بكل ما تبقى له من انفعالات :

- النجدة .. معى مصاب في حادث سيارة .. النجدة ..

هرع إليه الأطباء ورجال الإسعاف ، وبسرعة

ظهرت محفة إلكترونية ، تم نقل المصاب عليها إلى

حجرة الطوارئ ..

وهناك ، بذل الجميع قصارى جهدهم بحق ..

حقنوا المصاب بـ (الكورتيزون) و (الأدرينالين) ..

دلكوا قلبه ..

استخدموا الصدمات الكهربائية لتنشيطه ..

ثم عادوا يحقنونه (الأدرينالين) في قلبه مباشرة ..

وكررُوا استخدام الصدمات الكهربائية ..

والتدليك ..

ولكن لا فائدة ..

لم تظهر علامة واحدة من علامات الحياة على

المصاب ..

لا نبض ..

أو تنفس ..

أو استجابة لبؤبؤ العين ..

وعند مرحلة فحص العينين بالذات ، لم يقاوم (شريف) فضول إلقاء نظرة عليهما ..

وعندما أزاح الطبيب جفني المصاب المرتخيين ، سرت في جسد (شريف) قشعريرة ، وهو يتصور رؤية عينين حمراوين ، شبيهتين بعيني قط .

ولكن شيئا من هذا لم يحدث ..

كأننا عينين عسليتين عاديتين ، خلنا من طريق الحياة ..

وانهار (شريف) على أقرب مقعد إليه . عندما غمغم رئيس فريق الطوارئ في النهاية :

- لا فائدة ..

وترقرقت عينا (شريف) بالدمع ، وهو يتمتم :

- لم أكن أقصد هذا .. كان مجرد حادث .

ربت الطبيب على كتفه ، قائلاً :

- أعلم هذا يا ولدي . ولكن للقواعد هي القواعد ..

لا بد أن يتم أخذ أقوالك ، في نقطة الشرطة التابعة للمستشفى .

رفع (شريف) إليه عينين دامعتين ، وهو يكرر :

- لم أكن أقصد هذا .

تبادل الطبيب نظرة مع ضابط نقطة الشرطة ، الذي أوما برأسه متفهماً ، وهو يقول لـ (شريف) :

- اتبعني أرجوك .

نهض (شريف) يتبعه ، وعيناه تلاحقان عامل المشرحة ، الذي راح يدفع المحفة أمامه ، لنقل الجثة إلى حيث يتم حفظها ، وكرر في مرارة وانهيار :

- كان مجرد حادث .

أما عامل المشرحة ، فقد دفع المحفة أمامه ، وهو يضغط :

- عجباً ! إنه أول حادث في الطريق الجديد ! ترى ما الذي كان يفعله هذا المسكين هناك !؟

عجز عقله عن العثور على جواب منطقي ، فواصل دفع المحفة أمامه ، حتى بلغ المشرحة ، فسجل بيانات الجثة ، وضغط أزرار الثلاجة . و ...

وقبالة انتفض جسده كله في عنف ، واستدار يحدث في الجثة مذعوراً ..

لقد لمح تلك الحركة ..

لمح الجثة تتحرك أسفل الملاءة التي تغطيها ..

ليس مجرد خداع بصري ..

إنه مستعد للقسم على هذا ..

ولثوان ، ظل يحثق في الجثة ، التي بدت له

هامة ساكنة ، كأية جثة أخرى ، حتى راوده شعور

قوى بآته واهم ، وبأن ما رآه لم يكن سوى نوع من

الخداع البصري بالفعل .

وفي توتر بالغ ، أطلق زفرة عصبية ، وغمغم :

- ماذا أصابني ؟! هل سيراوني الخوف الآن ،

وأنا أعمل في هذا المكان ، منذ أكثر من خمس

سنوات ؟!

هز رأسه في قوة ، لينفض الخوف عن نفسه ،

وبسمل وحوقل ، ثم اتجه إلى الجثة ، وكشف الغطاء

عن وجهها ، و ...

وفي هذه المرة لم ينتفض جسده كله فحسب ..

لقد انطلقت من حلقه أيضا صرخة رعب هائلة ،

تردد صداها في المكان كله ..

فعندما انكشف الغطاء عن الجثة ، كانت عيناها

تتألقان بهيئتي أحمر رهيب ..

وكتبتا تحديقان فيه مباشرة ..

ثم ففزت بدها فجأة ، تقبض على عنقه ..

وصرخ للرجل مرة ثلثية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

بل ظل يصرخ بلا انقطاع ، والجثة تنهض جالسة ،

وهي ما زالت تمسك بعنقه ، ثم تقف في قوة ،

والعينان الحمران المتألقتان تحديقان فيه على نحو

يكفي لتمزيق قلب أكثر الرجال بأسا وشجاعة .

ثم اقتحم لثنان من رجال الأمن المكان ..

كادت صرخات العامل قد جذبتهما في قوة ، فانطلقا

يعدوان إلى المكان ، وهما يتوقعان مواجهة أمر

خطير ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد صرخا في رعب ،

عندما وقع بصرهما على ذلك المشهد ..

كادت الجثة تسير في هدوء ، ممسكة بعنق العامل ،

الذي يقاوم في رعب واستماتة ، ويواصل الصراخ

بلا انقطاع ، وقد جحظت عيناه من فرط الذعر

والأكم ..

وفي صعوبة ، انتزع أحد الحارسين نفسه ، من رعبه وذهوله ، وصاح وهو يصبو مسدسه إلى الجثة :

- قف وإلا ...

لم يدر بم يهتد شخصاً مات بالفعل ، من وجهة النظر الطبية ، لذا فقد تراجع مع زميله في توتر بالغ ، وهو بصرخ :

- سنطلق النار .

لم توقف العبارة مسيرة الجثة ، التي واصلت طريقها ، وهي تجرّ العامل المسكين من عنقه خلفها ، فصرخ أحد الحارسين :

- فليكن .

ثم ضغط زناد مسدسه ..

وانطلقت الرصاصات ..

واختزلت جسد الجثة ..

وعنقها ..

ورأسها ..

ولكن هذا لم يوقفها ..

كل ما حدث هو أنها اعتصرت عنق العامل المسكين

بغثة ، فحطمته بفرقة مكتومة ، ثم ألقت أرضاً ، وهي تواصل طريقها ..

وانطلق الحارسان يعدوان مذعورين ، وأثار مرأهما هلع (شريف) ، وهو يجلس في نقطة الشرطة ، في حين استل الضابط مسدسه بدوره ، واندفع نحوهما ، هاتفاً :

- ماذا حدث ؟!

صرخ به أحدهما :

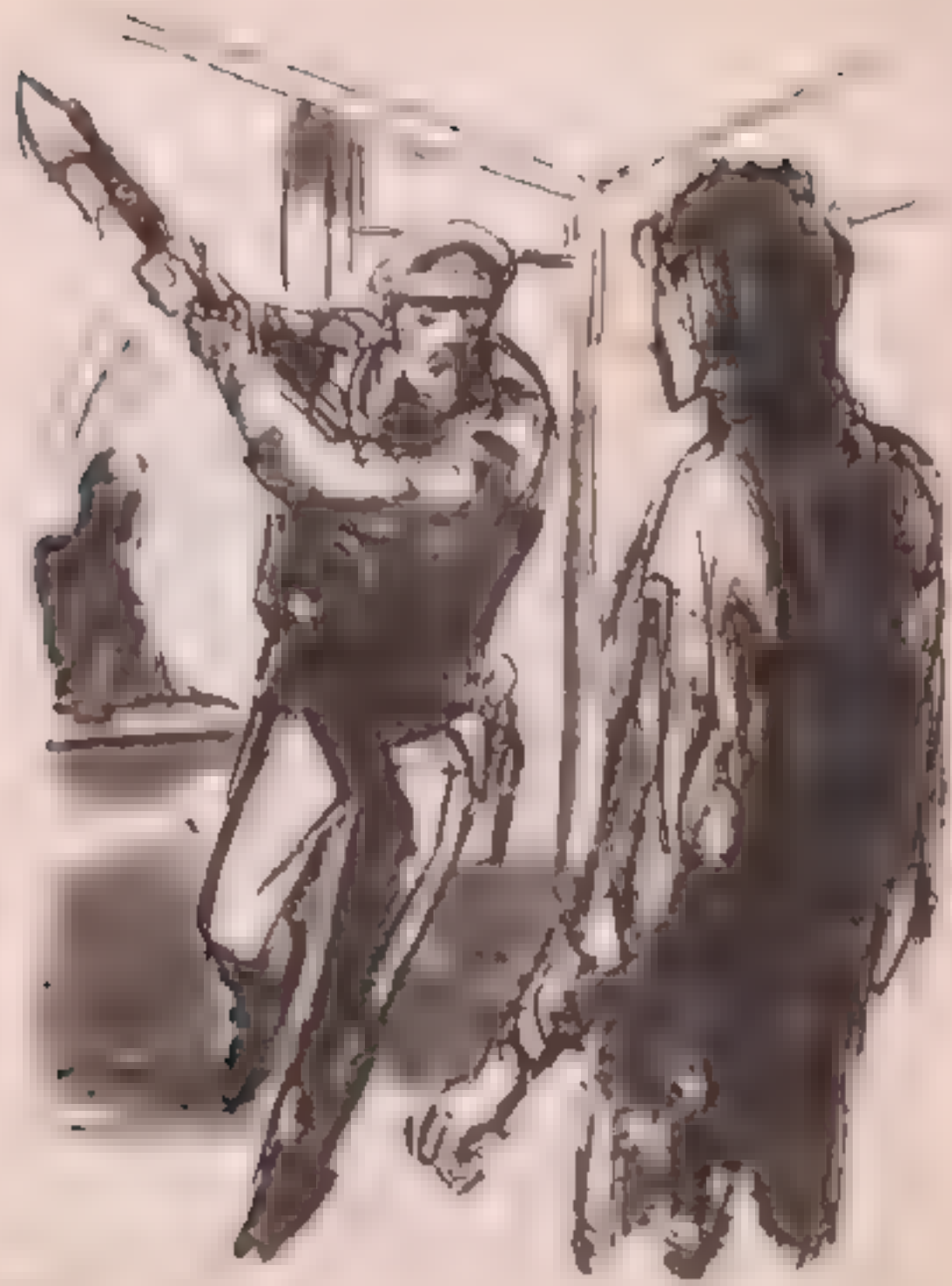
- لقد عادت إلى الحياة .. عادت إلى الحياة .

لم يفهم الضابط ما يعنيه هذا القول العجيب ، ولكنه أدار عينيه إلى حيث أتيا ، قبل أن ينتفض جسده كله بدوره ، وهو يهتف :

- يا رب العالمين !

ودون أدنى تردد ، ارتفعت فوهة مسدسه نحو الجثة ، التي اتجهت إليه مباشرة ، وعيناها تهرقان بذلك البريق الأحمر للرهب .

وتجمد (شريف) في مقعده ، وهو يحذق في ذلك المشهد ، عبر الجدار الزجاجي لنقطة الشرطة ، ورأى رصاصات الضابط تخترق الجثة في مواضع شتى ، وهي تواصل سيرها ، وتقترب منه أكثر ..



وبقفزة مذهلة ، طار جسده نحو الجنة ، وارتفعت البلطة
في يده ، و ...

وأكثر ..

وأكثر ..

واتسعت عينا الضابط عن آخرهما ، وهو يعيد
ممنحه إلى صدره ، مضغاً :

- ساعدني يا إله العالمين .. ساعدني .

ثم وثب يحطم صندوق الطولاري بمرفقه ، ولختطف
البلطة الصغيرة داخله ، ثم اندفع نحو الجنة ، صارخاً
بكل أفعال الدنيا :

- ساعدني .

وبقفزة مذهلة ، طار جسده نحو الجنة ، وارتفعت
البلطة في يده ، و ...

وانتفض جسد (شريف) هذه المرة ، وهو يطلق
صرخة فزع ، وعيناه تحديقان في المشهد الرهيب ..
ولثانية ، ترنحت الجنة بلا رأس ، قبل أن تهوى
أرضاً ، ويتدحرج إلى جوارها الرأس المقطوع ، وقد
خبا يريق حينه المخيف .

ولأكثر من نصف دقيقة كاملة ، لم ينطق أي
مخلوق بحرف واحد ، وهم يحلقون في الجنة والرأس ،
ثم لم يلبث (شريف) أن قطع ذلك الصمت الرهيب ،

وهو يتمتع بصوت ضاعت حروفه ، من فرط ارتجافه :
- كان مجرد حادث .

وتفجرت الدموع من عينيه ..
بمنتهى العنف ..

★ ★ ★

كان (نور) أول من انتزع نفسه من دهشته ، إثر
صرخة (نشوى) ..

وبوثبة واحدة مذهشة ، قبض على معصم (أكرم) ،
ورفع يده إلى أعلى ، هتفا في حدة :
- هل جننت ؟!

دفعه (أكرم) بكل قوته ، وهو يحاول تخليص
معصمه من بين أصابعه ، صائحاً :

- ابتعد يا (نور) .. ابتعد قبل فوات الأوان .

هتف (نور) ، وهو يتشبث به في قوة :

- أوان ماذا ؟!

التقى حاجبا (أكرم) ، واتسعت عيناه في أن
واحد ، وهو يحدق في (نشوى) ، التي التصقت
بالجدار في ارتياح ، وتراخت مقاومته ، وهو يتمتع :

- عجباً ! إنه ..

لم يستطع إتمام عبارته ، ففغر فاه على نحو مثير
للدهشة والشفقة ، وهو يدير عينيه في المكان ،
متمتماً :

- ولكن .. إبنى ...

أمسك (نور) كتفيه ، وهزه في قوة ، متسائلاً :

- ماذا حدث يا (أكرم) ؟! ماذا أصابك يا رجل ؟!

نقل (أكرم) بصره إليه بحركة حادة ، وانعقد
حاجباه في شدة ، قبل أن يهز رأسه في عنف ، قائلاً :

- لا .. لن تصدقني يا (نور) .

صاحت به (سلوى) في غضب :

- ماذا دهاك ؟! كنت ستطلق النار على (نشوى) .

هتف مستنكراً :

- أنا ؟!

اندفع (رمزي) إلى المكان ، في هذه اللحظة ،

وهو يهتف :

- ماذا حدث ؟! لماذا صرخت (نشوى) .

بدا للتوتر على وجه (نور) ، وهو يتطلع إلى

(أكرم) ، في حين ألقت (نشوى) نفسها بين ذراعي

زوجها ، وانفجرت باكياً ، وهي تهتف :

- لن يمكنك أن تصدق يا (رمزي) ! (أكرم) كذا
يطلق النار على .

هتف ذاهلاً :

- (أكرم) ؟

اندفع (أكرم) يهتف ، وهو يلوح بمسدسه في
عصبية :

- لقد أسأتم الفهم يارفاق .. إني لم أحاول الإساءة
إلى (نشوى) قط .. لقد كنت أدافع عنها .

سأله (نور) في اهتمام قلبي :

- ضد من ؟

أشار (أكرم) بسبابته نحو (نشوى) ، وبدأ لحظة
وكانه سيهتف بكلمة ما ، إلا أن الحيرة لم تلبث أن
سيطرت عليه مرة أخرى ، وهو يتراجع ، متمماً :

- هل قل ضد ماذا ؟

نطّلح إليه للجميع ، في مزيج من الدهشة والحيرة ،
قبل أن تهتف (سلوى) في غضب عصبى :

- (أكرم) .. لست أفهم لماذا فعلت هذا ، ولكن ...

قاطعها (أكرم) فجأة ، في توتر بالغ :

- إنه ذلك الظل .

تبادلوا نظرة دهشة ، قبل أن يسأله (نور) في حذر :

- أى ظل ؟

أجابه في عصبية :

- ظل أسود كثيف ، أشبه بسيلويت نصف شفاف ،

شيء له تكوين شبه بشري ، برز بقعة من الجدار ،
واتدفع نحو (نشوى) ، و ...

ارتبك لحظة ، وكأنما عجز عن وصف ما رآه ،
قبل أن يهتف محنقاً :

- لقد كنت أحاول حمايتها منه .

ران على المكان صمت رهيب ، بعد أن نطق
عبارته الأخيرة ، وتبادل الجميع نظرة متوترة للغاية ،

قبل أن يتلفتوا حولهم في قلق ، وتغمغم (سلوى) :

- أى قول هذا يا (أكرم) ؟ لا ريب في أنها تلك

الأضواء الكاشفة ، التي نستخدمها لفحص المكان ،

بسبب انقطاع التيار الكهربى عنه ، بعد ذلك الانفجار ..

لقد ألفت ظل أحدا هنا أو هناك ، أو ...

قاطعها في حزم :

- لا يا (سلوى) .. ما رأيته لم يكن مجرد ظل

منعكس ..

وأعاد مسدسه إلى حزامه ، وهو يلوح بذراعيه .
مستطرذا :

- ما رأيته كان .. كان ...

عاوده الارتباك والاضطراب ، وأطلقت حيرة واضحة
من عينيه ، قبل أن يهتف في عصبية شديدة :
- كان شينا مختلفا .

مرة أخرى حدثوا جميعا في وجهه ، بدهشة تمتزج
بالحيرة والقلق والخوف .. قبل أن تهز (سلوى)
رأسها في قوة ، قائلة :

- إنها مجرد هلوسة بصرية ، أو ...

قاطعها (نور) في حزم :

- لا يا (سلوى) .

التفت إليه في قلق ، فتابع بسرعة :

- (أكرم) ليس بالشخص الذي يعجز عن تمييز
الفارق ، بين الوهم والحقيقة ، وما دام يقول : إنه قد
رأى شينا مختلفا ، فقد رآه حتما ، وعجزنا عن
تفسير ما رآه لا يعنى أنه مجرد هلوسة بصرية .

تمتم (أكرم) ، وهو يطلق زفرة متوترة :

- أشكرك يا (نور) .

أما (نشوى) ، فقد اتسعت عيناها عن آخرهما ،
وهي تقول :

- أبى .. إنك تثير في نفسى الفرع .

أجلبها في صرامة :

- ثم نحن وقت اتخاذ القرار النفسى بعد .. (أكرم)
رأى شينا مختلفا بالتأكيد ، ولكن هذا لا يستحق أن
نضطرب ، أو نصاب بالخوف والفرع ، قبل أن نتبين
طبيعة الأمر ؛ فربما كان هذا امتدادا للظاهرة الفيزيائية
المجهولة ، التى نحن بصدد بحثها ، وحتى نصل إلى
نتائج علمية ملموسة ، لن نقدم تفسيراً للأمر ، على
أى نحو كان .

أشار لـ (رمزى) بيده إلى الخارج ، قائلا :

- ربما كان هذا صحيحا ومنطقيا ، من الناحية

الرسمية يا (نور) ، ولكن يبدو أنك مضطر لتقديم

تفسير إعلامى منطقى ، فقد بلغت صرخة (نشوى)

مسامع الجميع فى الخارج ، و (مشيرة) لن تغادر

لمكان ، قبل أن تحصل على جواب منطقى للتساؤلات ،

التي دارت فى رءوس الجميع ، إثر سماعهم للصرخة .

بدا الضيق على وجه (نور) ، وهو يقول :

- لا بأس .. سأخرج إليها .

أدار (أكرم) بصره في وجوه الجميع ، قبل أن يقول في توتر :

- خذنى معك .

تبعتهما (سلوى) ببصرها ، حتى غادرا المكان ، ثم هزت رأسها ، قائلة :

- لست أصدق أنه رأى هذا .

أجابها (رمزي) في حزم :

- ولكنه مقتنع بأنه قد رآه بالفعل .

ثم التفت إليها ، مستطردًا :

- وهذا رأى خبير .

« لقد رأيته يا (نور) .. »

نطق (أكرم) العبارة في عصبية ، وهو في طريقه إلى الخارج مع (نور) ، الذي أوما برأسه إيجابًا ، وغمغم :

- أنا واثق من أنك قد رأيت شيئًا ما يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

- بل شيئًا رهيبًا .. رهيبًا للغاية يا (نور) .. أنت تعرفني جيدًا .. إننى لست بالشخص الذى يصاب بالفرح

بسهولة ، وعلى الرغم من هذا فذلك الظل جعل قلبى يقفز من موضعه ، ويسقط فى معدتى ، ودفع فى عروقى شعورًا رهيبًا بالخوف والهلع ، حتى إننى التزعت ممبمى من حزامى ، وكدت أن أطلق النار عليه ، دون أن أنتبه إلى أن (نشوى) تقف خلفه مباشرة .

اتخذ حاجبًا (نور) فى شدة ، وهو يغمغم :

- ولماذا لم ير أحد سواك ذلك الظل يا (أكرم) ؟!

بل لماذا لم تلمحه (نشوى) نفسها ، وهو يندفع نحوها ؟!

أطلت الحيرة من كل خلية من خلاياه ، وكل حرف من كلماته ، وهو يقلب كفيه ، متمنًا :

- لست أدري .. صدقتى .. لست أدري ..

تنهد (نور) ، وأوما برأسه متفهمًا ، وهو يخرج من الفيلا ، فى مواجهة الجماهير المحتشدة ، ولم تكذ (مشيرة) تلمحه ، حتى اندفعت نحوه ، هاتفة :

- سيادة المقدم (نور) .. للجميع هنا يتساعلون

عما يحدث بالداخل ، وعن سر تلك الصرخة الأنثوية ، التى انطلقت منذ دقائق .. ترى هل يعنى هذا أن هناك خطرًا آخر فى الطريق .

هز رأسه نقيًا ، وقال :

- ليس إلا إذا اعتبرت أن رد فعل أنثويا تلقائيًا
بعد خطرًا .

سألته في اهتمام :

- ما الذى تعنيه برد فعل أنثوى تلقائي ؟

أجاب فى سرعة ، وكأنه يتوقع السؤال :

- إنه مجرد فار صغير ، قفز فى وجه واحدة من

عضوات الفريق ، فأطلقت صرخة فزع .

كان من الواضح أن هذا الحواب لم يقع أحدا من

الحاضرين ، إذ تبادلوا نظرات ملؤها للشك والاستنكار ،

الذين حولتهما (مشيرة) إلى هتاف معترض ، وهى

تقول :

- فار صغير ؟! هل تحاول إقناعنا بأن تلك الصرخة

القوية كانت نتاج رؤية فار صغير ؟! ألا تدرك أن

ما يعنيه هذا هو أن أمننا العلمى فى يد فريق محدود ،

يصاب أفراده بكل هذا الفزع ، لرؤية فار صغير ؟!

أجابها فى صرامة :

- لو راجعت معلوماتك ، لأدركت أننا فريق علمى

ياسيدة (مشيرة) ، ولعلنا إحدى فرق الكوماندوز

المقاتلة ، والعقل والمنطق لا يفترضان أن يتمتع
العلماء بشجاعة وبسمالة الأسود .. المهم عندى أن
يؤبوا دورهم بنجاح ، ثم يتركوا الأعمال العنيفة بعدئذ
للمختصين .

تطلعت إليه لحظة فى شك ، قبل أن تقول :

- قل لى يا سيادة المقدم : لماذا لرفض تصديق

ما تقول ؟!

أجابها بنفس الصرامة :

- هذا شأنك ، ولكنك لو راجعت منطقك ، لأدركت

أن السيدتين الوحيدتين بالداخل هما زوجتى وابنتى ،

ولو أن هناك أدنى خطر يهددهما ، لما كنت واقفا

أتحدث إليك الآن .

كان منطقها سليما تماما هذه المرة ، فارتبكت

لحظة ، قبل أن تقول :

- ليس هذا ما اعتدناه .

سألها (أكرم) فى عصبية :

- ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابته فى عصبية مماثلة :

- أعنى أننا قد اعتدنا ، كلما كانت هناك حالة

غامضة ، ترتبط بظهور فريقكم ، أن نواجه أحداثاً
مخيفة عجيبة ، وخصوصاً لا قبل لنا بهم .. باختصار ،
عندما نسمع إحدى عضوات الفريق ، وهي تطلق
صرخة فزع ، داخل فيلا عالم شهير ، لقي مصرعه
في ظروف غامضة ، ارتبطت بأحداث خارقة للطبيعة ،
فمن الطبيعي أن نرفض تصديق ذلك التفسير الساذج ،
الذي حاول المقدم (نور) أن يقدمه لنا ، حول الفئران
الصغيرة ، وردود الفعل الأثوية .

سألها (نور) في ضيق :

- وما الذي يمكنك تصديقه ؟

هزت كتفها ، قليلة :

- أي شيء آخر .. تفسير أكثر أناقة .. لو حتى
أكثر إثارة .. لم لا يكون سبب تلك الصرخة هو
رؤيتها لمخلوق من كوكب آخر مثلاً ؟

ارتسمت ابتسامة ساخرة محنقة ، على شفתי
(نور) ، وهو يقول :

- أي تفسير عجيب هذا الذي ...

قاطعته بغثة صرخة الأستاذ (حسن) المذعورة :

- ربّاه ! هذا صحيح .

استدارت العيون كلها إليه ، في تساؤل قلق ،
فاستدار ، وجسده كله يرتجف في هلع :
- الآن تذكرت أول كلمة ، نطق بها الدكتور (وائل) ،
عندما أصرعت إليه .
وشحب وجهه بسرعة مذهشة ، وزاغت عيناه ،
وهو يكمل :

- لقد هتف : إنهم هنا .

ولم ينهس أحد الموجودين بحرف واحد ..

فقد هوت العبارة على رؤوسهم كالصاعقة ..

أو أشدّ هولاً :

★ ★ ★



فبالنسبة إليه ، لم يكن هناك جديد على الإطلاق ،
فى تلك الليلة ..

إنها تشبه كل الليالى السابقة ..
وربما القادمة أيضا ..

ويله من عمل ممل !

كل ما عليه أن يفعله ، هو أن يجلس أمام لوحات
المراقبة الإلكترونية ، داخل تلك الحجرة الكبيرة ، ذات
الجدران الزجاجية ، ليتابع كل ما يحدث ، خلال فترة
الليل ، من الثامنة مساءً ، وحتى الثامنة صباحاً ..

ولأن محطات توليد الكهرباء الحديثة تدار بالطاقة
النووية ، ويشرف على تشغيلها جهاز كمبيوتر عملاق ،
تبلغ نسبة الأخطاء فيه واحد لكل مائة مليون ، فإن
الأمور تسير فى هدوء ، وبلا أية مفاجآت ، منذ إنشاء
المحطة ، وحتى هذه اللحظة ..

وهذا يعنى أنه لا يجد ما يفعله طوال الليل ..
وبالإضافة إلى هذا ، فهو مضطر للبقاء متيقظاً ،
واحتمال ثقل ظل مديره ، وسماع دعاياته السخيفة
السمجة ، و ...

« ما رأيك فى هذه الدعاية ؟ »

٣ - فيض الطاقة ..

أطلق المدير الليلى لشبكة الكهرباء الرئيسية ،
لمدينة (السادس من أكتوبر) ، ضحكة عالية ، وهو
يطالع ذلك الكتاب الهزلى فى يده ، قبل أن يلتفت إلى
مساعدده ، هاتفاً :

- يالها من دعاية !! سلسلة القصص الهزلى
الجديدة هذه مضحكة للغاية ! لم أقرأ فى حياتى كلها
ما هو أفضل منها .

ابتسم مساعدده ، مخففاً فى ضجره ،
بالتأكيد .

هتف المدير فى حماس :

- هل سمعت هذه الدعاية الجديدة ؟! رجل طويل
القامة للغاية ، خرج لـ ...

واصل المدير إلقاء الدعاية ، التى قرأها فى الكتاب
الجديد ، دون أن يبالي المساعد بسماع حرف واحد
منها ..

قطع المدير أفكاره بهذه العبارة ، قبل أن ينفجر ضاحكا ، وكأنما راقى له دعابته نفسها ، فاغتصب مساعده ابتسامة باردة ، وهو يقول فى ضجر :
- رائعة .

سأله المدير فى دهشة :

- لماذا لم تضحك إذن ؟!

هتف للمساعد فى حماس مصطنع :

- من قال هذا ؟!

واستدار إليه ، وهو يرسم على وجهه ضحكة كبيرة ، و ...

وفجأة ، تجذبت هذه للضحكة على شفثيه ، وهو يحدق فى نقطة ما ، عبر الجدار الزجاجى لحجرة المراقبة ، قبل أن يهتف بدهشة كبيرة :

- ما هذا بالضبط ؟!

استدار المدير بسرعة ، إلى حيث يحدق مساعده ، ثم لم يلبث أن هب من مقعده ، هاتفا بدوره :

- رياه ! ما الذى يفعله هذا المجنون ؟!

هذا لأنه على مسافة مائة متر فحسب من المكان ، كان المهندس (ناجى) ، كبير مهندسى الأعطال

بالشبكة ، يتسلق أحد أبراج الضغط العالى ، فى نشاط عجيب ، وكأنه يسعى للوصول إلى قمته بأى ثمن ..
وبقفزة واحدة ، اختطف المدير سماعة جهاز التنبيه للدخلى ، وهتف عبر مكبرات الصوت ، التى تنتشر فى المكان كله :

- مهندس (ناجى) .. ما الذى تفعله بالضبط ؟

لم يبد حتى أن المهندس قد سمعه ، على الرغم من ترند صوته فى المحطة بأكملها ، وإنما واصل تسلقه بنفس النشاط ، حتى بلغ جسرا ضيقا ، يمتد بين ذلك البرج ، وأحد أبراج الضغط العالى الأخرى ، مروراً بوحدة التوليد الرئيسية ، التى تعمل طوال الوقت ..
وبكل الذعر والاستكار ، هتف المدير عبر جهاز التنبيه :

- احترس يا (ناجى) .. احترس يا ولدى .. إنك حتى لا تحيط جسديك بحبل الطوارئ .

ومرة أخرى ، بدا وكأن المهندس (ناجى) لم يسمعه قط ، وهو يتعلق بذلك الجسر الرفيع ، الذى يستخدم لنقل الأنواع الثقيلة عبر المحطة ، ثم وثب بعثيه ، ووقف فوقه لحظة ، قبل أن يمسير فوقه فى هدوء وثبات ..

واتسعت عينا المدير في ذهول ، في حين أطلق
مساعدته شهقة قوية ، وهو يهتف بصوت مرتجف :
- مستحيل !

فعلى الرغم من أن عرض ذلك الجسر المعدني لم
يكن يزيد عن ثلاثين سنتيمترا ، مكونة من مستويين
متعارضين ، إلا أن المهندس (ناجي) كان يسير فوقه
بلا أدنى خوف أو تردد ، على ارتفاع عشرين مترا
من وحدة التوليد الرئيسية ، وكأنه يتجه إلى هدف
محدد ، يعرفه ويحفظه جيدا ..

وبكل قوته ، انتزع المساعد نفسه من ذهوله ،
واتدفع يעדو خارج حجرة المراقبة ، وهو يهتف :
- لقد جنّ المهندس (ناجي) .. جن بالتاكيد .
لم يكن يدري لماذا اتدفع خارج الحجرة ، بكل هذا
الحماس ، إذ إنه يجهل تماما الذي ينبغي أن يفعله ،
في ظروف عجيبة كهذه ..

لذا ، فقد توقف ، على بعد عشرين مترا من
الحجرة ، وعاد يلتفت إلى ذلك الجسم المرتفع ، الذي
توقف المهندس (ناجي) في منتصفه ، فوق مركز
وحدة التوليد الرئيسية بالضبط ، واعتدل ليواجه جانب
الجسر في هدوء ..

وبكل قوته ، هتف المساعد :

- لا يا (ناجي) .. لا تفعلها .. لا ..

وارتجفت الكلمات في حلقه ، وعيناه تتسعان في
شدة ، عندما التفت إليه المهندس (ناجي) في هدوء ،
وتطلع إليه بنظرة عجيبة ، وكأنه قد سمع هتافه
هذا ..

وعلى الرغم من بعد المسافة ، خيل للمساعد أن
عينا المهندس (ناجي) قد تألقتا ببريق أحمر مخيف ،
قبل أن يفرد ذراعيه على جانبي جسده ، ثم يميل إلى
الأمام في ثبات ، كلوح من الخشب .

وشهق كل العاملين بالمحطة ، في زعر ذاهل ،
عندما هوى المهندس من ذلك الارتفاع ، وذراعا
إلى جانبي جسده ، وكأنه يزعم الطيران ، أو السقوط
الحر ...

في مركز وحدة التوليد الرئيسية بالضبط ..
ثم فجأة ، انطلق الجميع يحدون في كل الاتجاهات ،
وكانما يسعون للنجاة ، أو الفرار من خطر ، لا يدركون
ماهيته بالضبط ..

ولكن المهندس (ناجي) سبقهم إلى السقوط ..

وهوى بين عشرات الأسلاك وكابلات الكهرباء
للضخمة السمينة ..

ودوت في المكان قرقة هائلة ..

ثم تضاعفت شدة التيار على نحو مباغت عنيف ،
تفجرت معه شاشات المراقبة ، وكابلات الكهرباء
العالية ، وتطايرت إثره شرارات كهربية مخيفة في كل
مكان ..

وبعدها انقطع التيار الكهربى دفعة واحدة ..

وساد الظلام الدامس ..

ظلام رهيب ..

ومخيف ..

للغاية !!

★ ★ ★

لم يكذ الأستاذ (حسن) ينطق عبارته ، التى ذكر
فيها كلمات الدكتور (والى) الأخيرة ، حتى سادت
موجة من الهلع والذعر فى المكان ، وهتف أحد
الناس فى ارتياح :

— ما الذى كان يعنيه بهذا ؟! ما الذى فعله ذلك

المجنون ، قبل أن يلقى مصرعه ؟! ما الذى فعله هنا ؟!



وشهق كل العاملين بالمحطة ، فى ذعر ذاهل ، عندما هوى
المهندس من ذلك الارتفاع ..

وصاح آخر :

- هل ستغزو المخلوقات المخيفة مدينتنا ؟!

وراح الجميع يتراجعون مذعورين ، وكأنيهم يخشون الاغتراب من الفيلا المصابة ، في حين هتفت (مشيرة) :

- ما تعليقك على هذا أيها المقدم (نور) ؟! ما الذي يعنيه قول الدكتور (وائل) هذا ؟!

تجاهل (نور) سؤالها هذه المرة ، وهو يهتف :
- لا داعي للخوف والذعر دون مبرر .. إنها مجرد عبارة ، قد لاتعنى شيئا على الإطلاق .. لا تصنعوا ذعركم بأنفسكم .. الأمر لا يعدو كونه ..

قبل أن يتم عبارته ، سرى فيض من الطاقة بقعة ، في مصابيح الإضاءة وكل الأجهزة المحيطة بالمكان ، فتفجرت المصابيح بدوى مخيف ، جعل الناس يطلقون صرخات الفرع ، ويعدون مذعورين في كل اتجاه ، قبل أن ينقطع التيار الكهربى دفعة واحدة ..

ومع انقطاعه ، تضاعفت حالة الذعر والفرع ، لتبلغ حدّها الأقصى ، وبدأ الأمر أشبه بالتهيار نفسى عام ، كما يحدث عند وقوع هجوم عسكرى مباغت ،

على فريق من المدنيين ، حتى إن بعضهم اصطدم بـ (مشيرة) ، وأوقعها أرضا ، وحطم آلات التصوير ، وكاد البعض الآخر يطوها بقدميه ، لولا أن انتزعتهما يدا (أكرم) من مكانها فى سرعة ، وهو يهتف :
- احترسى .

تعرفت صوته على الفور ، وسط الظلام الدامس ، فهتفت :

- كيف ؟ كيف وجدتنى ، وسط هذا الظلام ؟!
أجابها ، وهو يجذبها بعيدا :
- قلبى أرشدنى إليك .

مع آخر حروف كلمته ، أضاء (نور) مصباحه اليدوى القوى ، وهو يصيح :
- رويدكم ياسادة .. إنه مجرد انقطاع للتيار الكهربى .. رويدكم .

ولكن أحدا منهم لم يسمعه ..
كان الجميع يحاولون بلوغ منازلهم ، والاحتماء بها ، إلا أن لظلام الدامس جعلهم يتخبط بعضهم ببعض ، ويصطدمون ، ويسقطون تحت الأقدام ، و ...
« كفى » ..

صرخ (أكرم) بالعبارة . وهو يطلق رصاصات
مسدسه في الهواء ..

ومع دوى الرصاصات ، تجمد الجميع في أماكنهم ..
والتفتوا إلى ضوء مصباح (نور) اليدوى ..
ومع الهدوء العجيب ، الذى ساد المكان ، إثر
طلقات الرصاص ، أضاء رجال الشرطة مصابيحهم
اليديوية بدورهم ، وبدأت الروية تتضح نوعاً ما ،
تحت الإضاءة الخافتة ..

وفى حزم ، هتف (نور) :

- من العار أن يصيبكم كل هذا الذعر ، لمجرد
لتقطاع طارئ فى التيار الكهربى .

صاح به أحدهم غاضباً :

- لقد أصابكم الذعر من فأر صغير .

هتف (نور) :

- ولكننا لم نفقد عقولنا ، أو سيطرتنا على أعصابنا ،

حتى كدنا أن نفتك بعضنا ببعض ، على هذا النحو .

انتابهم جميعاً شعور بالخجل والأسف ، وانخفضت

عيونهم أرضاً ، دون أن ينبس أحدهم ببنت شفة ،

فتابع (نور) فى صرامة :

- أعلم أن هذا لم يحدث من قبل .. منذ إنشاء هذا
الحى على الأقل ، ولكن هذا لا يعنى أنه مستحيل
الحدوث .. أى عطب مفاجئ فى إحدى وحدات التوليد
الرئيسية ، يمكن أن يسبب انقطاعاً شاملاً للتيار ،
ولكن المحطات مجهزة بحيث لا يستمر هذا لأكثر من
دقائق عشر ، يتم بعدها نقل الخطوط الرئيسية إلى
وحدة أخرى ، لإعادة سريان التيار الكهربى ، حتى
يتم إصلاح عطب الوحدة الرئيسية .. اطمنوا ..

هتفت (مشيرة) فى حلق :

- وبعد أن يطمنوا .. من سيدفع ثمن آلة التصوير
للمحطة ؟!

أجابها (أكرم) ساخراً :

- ضعوا ثمنها فى خانة خسائر الجريدة .

هممت فى عصبية :

- هذا ما يحدث فى المعتاد أيها العبقرى .

أمسك كتفها فى حنان وهو ينحنى ليهمس فى
أذنها :

- حبيبتى إذن محتالة كبيرة .

قلت فى صرامة :

- لا تحاول خداعي بكلمات مصولة .. إبنى لم أكن
بعد كلماتك القاسية هذا الصباح .
ثم استدركت فى دلال :
- ولكننى سأظهر بتسياتها .
ضحك هامسا :
- اتفقنا .

ومع آخر حروف كلماته ، تبعث أزيز خافت من
مصابيح الشارع ، فقال (نور) :
- التيار الكهربى عاد أيها السادة ، ولكن مصابيح
الإضاءة تحتاج إلى تغيير .. عودوا إلى منازلكم ،
وابقوا فيها الليلة ، حتى تتضح الأمور ، ولا تتسوا
استبدال المصابيح ، وفحص أجهزكم الكهربائية .
هتف أحدهم ، وهم ينسحبون إلى منازلهم :
- سنقاضى مؤسسة الكهرباء ، لو أن فيض الطاقة
الزائد هذا قد أفسد أجهزتنا الإلكترونية .
تمتم (نور) :

- هذا حقكم ، من الناحية القانونية .
بدأت المصابيح الاحتياطية فى الشوارع تسطع من
جديد ، والجميع يستقرون فى بيوتهم ، وهتفت (مشيرة) :
- نور .. إبنى لم أصدق قصة للفار هذه .

أجابها فى صرامة :

- كان ينبغى أن تصدقها يا (مشيرة) .. أمام الناس
على الأقل .
فالت فى عناد :
من حق الناس أن تعلم الحقيقة .
أجابها فى ضيق :

- عبارة أنيقة يا (مشيرة) ، ولكنها لا تعنى الحقيقة
دائما ، فالسؤال الذى ينبغى طرحه هو : ما الذى يمكن
أن يحدث . عندما يعلم الناس الحقيقة ؟! هل سيكون
هذا لصالحهم أم ضدهم ؟! ثم ما الذى يفيد ، عندما
تنشر حالة من الذعر والفرع بين الناس ، قبل أن
نتبين نحن أنفسنا ما هى الحقيقة ؟! ترى هل
سيمساعدنا هذا على التوصل إليها ؟! هل سيمساعد
الناس على أن يواصلوا حياتهم ، وأعمالهم ، ويسيروا
فى ركب الحياة ، أم سيؤدى إلى توقف حركة العمل
والإنتاج والتنمية ، والإساءة إلى الاقتصاد القومى ؟!
هذا هو السؤال الحقيقى يا (مشيرة) .

ثم اكتسب صوته صرامة شديدة ، وهو يقول :
- أطرchie على نفسك يا (مشيرة) .. على عقلك .
وتطلع إلى عينيها مباشرة ، مضيقا فى حزم :

- على ضميرك .

انفجرت شفتاها فى ارتباك ، دون أن تتطرق حرفاً
واحداً ، وتعلق بصرها بـ (نور) ، الذى ألقى كلمته ،
واستدار علناً إلى داخل الفيللا ، لينضم إلى زوجته
وابنته و (رمزي) ، فضغم (أكرم) :

- أعتقد أنه على حق .

غضبت فى توتر :

- للناس ينبغي أن تعلم .

ثم اقتفض جسدها ، قبل أن تضيف فى عدا :

- هذا واجبى .

واندفعت نحو سيارة الجريدة ، هاتفية فى عصبية :

- ماذا تنتظرون ؟! احضروا آلة التصوير الاحتياطية ..

لدينا الكثير من العمل الليلة .

هزّ (أكرم) رأسه ، متممًا :

- يا للعناد !

اندفع (نور) إليه ، فى تلك اللحظة ، وهو يقول :

- هيا بنا .

سأله فى دهشة :

- إلى أين ؟!

أجابه (نور) ، وهو يندفع إلى سيارته :

- يبدو أن هذه الليلة ستحمل الكثير من الأحداث ..
الكثير جدًا .

قفز الاثنان إلى سيارة (نور) ، التى انطلق بها هذا
الأخير على الفور ، فسأله (أكرم) فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

تنهد (نور) ، مجيبًا :

- الكثير يا (أكرم) ... فى المستشفى العام ،
عادت جثة إلى الحياة ، وقتلت عامل المشرحة ،
وأثارت موجة من الذعر ، فى المكان كله .

هتف (أكرم) ذاهلاً :

- جثة عادت إلى الحياة ؟! أى قول هذا يا (نور) ؟!
هو أحد أفلام الرعب السخيفة أم ماذا ؟!

قال (نور) ، دون أن يجيب تساؤله :

- وفى شبكة الكهرباء الرئيسية ، أصيب مهندس
شاب رصين ، هادئ الطباع ، بنوبة جنون مباغتة ،
وألقى نفسه داخل وحدة التوليد الرئيسية .

هتف (أكرم) :

- أهذا سبب ما حدث الليلة ؟!

اتعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو يهز رأسه ،
قائلاً :

- ربما يا (أكرم) .. ربما ..

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف في توتر بالغ :

- كل ما أتمناه ، هو ألا يكون نتيجة لما حدث
الليلة .

ولم ينبس (أكرم) ببنت شفة ..

لقد فهم ما يعنيه (نور) بقوله هذا ..
فهم ..

وارتجف ..

★ ★ ★

« لا أحد يمكنه تصديق أو استيعاب ما حدث .. »

نطق مدير شبكة الكهرباء بالعبرة ، وهو يلوح
بذراعيه في توتر ، مستطرداً :

- المهندس (ناجي) عاقل ورصين دائماً .. ولم
يقدم على أية حماقات طويلة عمره ، حتى إننا نشعر
وكان ذلك الذي انتحر ، كان شخصاً آخر .

تفرجت شففاً مساعده لحظة ، ثم لم يلبث أن أطبقهما
في توتر ، فأشار إليه (نور) ، قائلاً في هدوء :

- ماذا أردت أن تقول ؟!

ارتبك الشاب ، قائلاً :

- لا .. لا شيء يا سيادة المقدم .

كرراً (نور) ، وقد تسأل الحزم والصرامة إلى
صوته :

- ماذا أردت أن تقول ؟!

ارتبك المساعد أكثر ، ونهض من مقعده في
عصبية ، وراح يفرك كفيه ، قبل أن يلتفت إلى (نور) ،
قائلاً في تدافع :

- كنت أريد أن أقول : إن الذي حدث لم يكن لتجاراً ،
هاتف المدير في استنكار :

- ماذا ؟!

أشار إليه (نور) في حزم ، وهو يسأل المساعد :

- ماذا تعني بالضبط ؟!

اندفع المساعد يقول ، وكأنه يلقي كل ما لديه ،
قبل أن يمنعه الخوف من الاستمرار :

- أعني أن ذلك الذي ألقى نفسه في مركز وحدة
التوليد الرئيسية ، لم يكن المهندس (ناجي) الذي
نعرفه .. بل كان شخصاً آخر .

صاح المدير في غضب :

- هل تعلم ما يعنيه قولك هذا ؟!

التفت إليه (نور) ، قائلاً في صرامة :

- يعني أن مساعدك لديه معلومات مهمة ، يمكن

أن تفيد العدالة ، وأنت تحاول منع من منحنا هذه

المعلومات .

امتقع وجه المدير ، وهو يقول في ارتباك :

- مطلقاً يا سيادة المقدم .. مطلقاً .. كل ما في الأمر

أن قوله قد يشير إلى أن شخصاً غريباً قد دخل إلى

الشبكة ، وهذا أمر مخالف للقانون .

هتف للمساعد :

- أنا لم أقصد هذا مطلقاً .

سأله (أكرم) :

- ما الذي كنت تقصده إذن ؟!

أجابته للمساعد في سرعة :

- كنت أقصد أن المهندس (ناجي) ، الذي اتصل

برج الضغط العالي ، وسار على جسر التوصيل ،

وألقي نفسه داخل مركز وحدة للتوليد الرئيسية ، لم

يكن هو المهندس (ناجي) ، الذي أعرفه منذ خمس

سنوات .. لقد بدا الليلة وكأنه شخص آخر .. شخص

لا يربطه بالمهندس (ناجي) الذي نعرفه سوى الشكل

الخارجي فحسب .. شخص آخر ، جرىء ، جسور ..

لا يبالي بالموت والحياة .

وارتجف صوته ، وهو يضيف :

- شخص لم يعد يشعر بمن حوله ، وبما حوله .

ثم هتف ملوحاً بيده :

- إتكما لم تريا كيف سار فوق ذلك الجسر الضيق ؟!

لقد تحرك فوقه في خفة وسرعة ، كما لو أنه يسير

على طريق واسع ممهد ، في حين أن المسير عليه

مستحيل تقريباً .

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة سريعة ، قال الأخير

بعدها في حزم :

- هناك وسيلة واحدة للتأكد من هذا .

قالها ، واتطرق خارج المكان في عزم ، فهتف

للمدير متوتراً :

- ماذا سيفعل ؟!

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- لا تقلق نفسك بشأنه .. إنه يعلم ما عليه أن يفعله .

اتعتقد حاجبا المدير ، وهو يتابع فى قلق (أكرم) ،
الذى اتجه بخطوات واسعة سريعة نحو برج الطاقة ،
فى حين سأل (نور) المساعد فى اهتمام :

- هل تعتقد أن المهندس (ناجى) كان يعانى أية
مشكلات ، فى المنزل أو العمل ، قد تدفعه إلى الانتحار ؟!
هزّ المساعد رأسه فى قوة ، مجيباً :

- على العكس .. لقد كان ناجحاً فى عمله وزواجه ،
ثم إنه لو أراد الانتحار ، فلماذا تكبّد كل هذه المشقة ؟!
كان يكفى أن يدفع سبائته ووسطاءه فى أى مخرج
للتيار الكهربى ، ليقتضى نحيبه فى الحال .

هتف المدير ، فى هذه اللحظة :

- رباه ! زميلك يتسلق برج الضغط العالى .

أشار إليه (نور) بيده ، قاتلاً فى حزم :

- لا تَقْلَق نفسك بشأته .

ثم عاد يقول للمساعد :

- ربما أراد إعلان انتحاره أو احتجاجه على أمر

ما .. بعض المنتحرين يفعلون هذا ، كوسيلة لإخبار

العالم أنه المسئول عن انتحارهم .

هزّ المساعد رأسه فى قوة ، وهتف :

- المهندس (ناجى) لم يكن يفكر فى الانتحار على
الإطلاق ، بدليل أنه قام صباح اليوم فقط بحجز وحدة
من الوحدات السكنية التابعة للمؤسسة ، فى هذه
المدينة . وقال إنه سيقم أخيراً ، بالقرب من محل
عمله .. والشخص البعيد النظر كهذا ، لا يقدم قط على
الانتحار .. ليس فى الليلة نفسها على الأقل .

صرخ المدير :

- يا إلهى ! إنه يهمل بالمسير على الجسر الضيق .

ألقى (نور) عليه نظرة لا مبالية ، قبل أن يدنى
ساعته من شفتيه ، قاتلاً :

- ماذا وجدت ؟!

أتاه صوت (أكرم) ، مجيباً :

- المساعد كان على حق .. السير على ذلك الجسر
الضيق عسير للغاية .

تنهّد (نور) ، قاتلاً :

- فليكن .

هتف المدير ، وهو يشير إلى رأسه فى عصبية :

- إنكم مجتئين بالفعل يا رجال المخابرات .

تجاهل (نور) قوله تماماً ، وهو يسأل المساعد :

- أهذا كل ما لديك يا رجل ؟!

تردد المساعد لحظة . قبل أن يجيب في حذر :
- نعم .

قال (نور) في حزم :

- لا تردد في البوح بأى شيء ، مهما بدا لك
تافها أو عجيبا .

تطلع إليه المساعد لحظة في توتر . ثم لم يلبث أن
حسم أمره ، والتدفع يقول :

- هناك أمر صغير ، لا يمكننى للجزم بحدوثه ، ولكن .
قاطعه (نور) :

- هات ما لديك ، واترك لنا تقرير الأمر .

ازدد المساعد لعابه في صعوبة ، قبل أن يقول :

- كانت المسافة بيننا كبيرة ، عندما هتفت أناديه ،

ولكنه عندما استدار إلى ، كانت عيناه تبرقان بهريق
عجيب مخيف ..

وجفا حلقه بشدة ، وهو يضيف :

- برى أحمر .

نطقها وكل ذرة في كياته ترتجف ..
كل ذرة ..

★ ★ ★

« ولماذا ألقفك هذا البريق المزعوم ؟! »

لقى (أكرم) سؤاله في حيرة ، وهما ينطلقان
بالسيارة إلى المستشفى ، بعد أن راجعا كل الأمور ،
في شبكة الكهرباء الرئيسية ، فاجبه (نور) متوترا :
- لأن البريق الأحمر ، عامل مشترك يا (أكرم) ، بين
حادثى المستشفى وشبكة الكهرباء .

ردد (أكرم) في حذر :

- عامل مشترك ؟!

أجابه (نور) في حزم :

- نعم يا (أكرم) ، فتلك الجثة ، التى عادت إلى
الحياة ، وسببت كل هذا الذعر فى المستشفى ، كتبت
عينها تبرقان بهريق أحمر أيضا .

تراجع (أكرم) فى مقعده بعنف ، وهو يهتف :

- يا إلهى !

ثم علا بعنل بحركة حادة ، مستطرذا :

- ما الذى يعنيه هذا يا (نور) ؟!

زفر (نور) فى توتر بالغ ، وهو يضغط :

- لست أرى يا (أكرم) .. صدقتى لست أرى .

وصمت لحظة ، قبل أن يضيف :

- ولكننى أشعر بالخوف .

لم يتبادلا كلمة واحدة . بعد عبارة (نور) الأخيرة ،
إلا أن (أكرم) بدأ يشعر بتوتر لا حدود له ، والسيارة
تنطلق بهما في الطريق المظلم ..

وفي كل بقعة ، خارج ضوء مصباحي السيارة ،
بدا له وكان عشرات الظلال نصف الشفافة تتبع منها ،
وتحاول الانقضااض عليهما ، و

وفي قوة ، نفص عن نفسه هذه الأوهام ، وتثبت
بمقعده في صمت ، حتى بلغت السيارة المستشفى ..
وهناك بدأ جو التوتر والخوف واضحا ملموسا ، في
الوجوه الشاحبة ، والنظرات للزائفة ، وبقعة الدم الكبيرة ،
التي لم تتم إزالتها بعد ، في العمر الرئيسي ..

الوحيد ، الذي بدأ متمسكا إلى حد ما ، كان ذلك
الضابط ، الذي أوقف تلك الجثة المتحركة ، الذي
روى له (نور) و (أكرم) ما حدث بكلمات موجزة ،
مؤكدًا أن تقريره الرسمي سيتضمن كل التفاصيل ..

أما المهندس (شريف) ، فقد بدأ منهارا تعامًا ،
وغير قادر على الإدلاء بحرف واحد ..

وكذلك كان حارسا الأمن ..

لذا فقد قرّر (نور) أن يرجئ الاستجواب كله ،
وهو يسأل الضابط :

- وأين تلك الجثة الآن ؟

أشار الرجل بيده ، مجيبًا :

- أعادوها إلى المشرحة .

قال (نور) في حزم :

- ليس من المفترض أن يبقى كل شيء على

ما هو عليه ، حتى تتم المعاينة الرسمية ؟

أوما الضابط برأسه موافقا ، قبل أن يجيب :

- هذا صحيح ، ولكن الأوامر وصلت بتصوير

مسرح الحادث ، وإعادة الجثة إلى المشرحة ، فور

وصول الطبيب الشرعي ، الذي أرسلته إدارتكم ، حتى

يمكنه القيام بعمله على الفور .

سأله (نور) في دهشة :

- هل أرسلت الإدارة طبيبًا شرعيًا بهذه السرعة ؟

أوما الضابط برأسه مرة أخرى ، وقال :

- نعم يا سيادة المقدم .. إنه كبير الأطباء الشرعيين

بنفسه .. الدكتور (محمد حجازي) .

وكانت مفاجأة جديدة ..

★ ★ ★

« (نور) .. تلميذ النجيب .. »

استقبل الدكتور (محمد حجازي) ، كبير الأطباء

للشريعين المصريين ، (نور) بهذه العبارة ، وبإبتسامة
كبيرة ، وهو يصافحه ويصافح (أكرم) ، مستطردًا :
- للمشكلة الوحيدة هي أننا لا نلتقي أبدًا ، إلا مع
الأحداث للرهيبة للغيبة ، أو الحوادث الغامضة للمخيفة .
ابتسم (نور) ، قائلًا :

- هذا قدرنا .

أما (أكرم) ، فقد ألقي نظرة على الجثة ذات
الرأس المقطوع ، والتي ظهرت فيها آثار الرصاصات ،
وهو يسأل في توتر :

- هل بدأت عملك بالفعل يا دكتور (حجازي) ؟

أوما الدكتور (حجازي) برأسه إيجابًا ، وقال :

- بالتأكيد ، فمن الواضح أن الأمر يقلقهم كثيرًا في
(القاهرة) ، وهم يرغبون في الحصول على تفسير
منطقي ، في أسرع وقت ممكن .

سأله (أكرم) في توتر :

- وماذا عن ذلك البريق الأحمر ؟

هز الدكتور (حجازي) كتفيه ، قائلًا :

- دعني ألق السؤال نفسه يا ولدي .. ماذا عنه ؟

ثم أشار إلى الرأس المقطوع ، مستطردًا :

- إنني لم أفحص الرأس كله بعد ، ولكنني فحصت
العينين بمنتهى الدقة .

سأله (نور) في اهتمام :

- وهل وجبتهما طبيعيتين ؟

أجابته في بساطة :

- إتيهما تعانين من قصر النظر ، والتهاب مزمن

في السائل الزجاجي ، ولكن فيما عدا هذا ، فهما
عاديتان للغاية .

سأله (نور) :

- هل يمكن أن يكون ذلك البريق الأحمر نوعًا من

التخداع للبصري إذن ؟

قال الدكتور (حجازي) مستنكرًا :

- في مثل هذه الإضاءة ؟ لا .. لست أظن هذا

لهذا يا (نور) .

ثم لوَّح بيده ، مستطردًا :

- ولكن هذه ليست المشكلة .

سأله (أكرم) في قلق :

- ما المشكلة إذن ؟

أجابته ، مشيرًا إلى الجثة :

- تقرير الشرطة يقول : إن تلك الواقعة المفزعة قد حدثت ، منذ ساعة إلا عشر دقائق بالضبط ، وأن السبب في وصول هذه الجثة إلى هنا ، هو أن صاحبها قد تعرض لحادث سيارة ، منذ ساعة وربع للساعة تقريباً ، وهذا يعنى أنه إما أن قائد السيارة لم يمكنه تحديد الوقت بدقة ، أو أن تقرير الشرطة يحوى خطأ ما .

سأله (نور) فى حيرة :

- ولماذا تجزم بهذا يا دكتور (حجازى) ؟!

أجابه كبير الأطباء الشرعيين فى حزم وثقة :

- لأنه من المستحيل أن يكون صاحب هذه الجثة

قد سار على قدميه ، ليعبر الطريق الجديد ، منذ ساعة وربع الساعة ، ولا حتى منذ ساعتين ..

هم (نور) بإلقاء سؤال آخر ، ولكن الدكتور

(حجازى) تابع فى صرامة :

- لأن هذا الرجل قد لقي مصرعه منذ ساعتين ...

على الأقل .

وكانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة .

★ ★ ★

٤ - ليلة المفاجآت ..

تتابع ضابط دورية الشرطة الجائلة فى ملل ، والسيارة تنطلق به ، مع ثلاثة من الجنود ، فى الطريق الرئيسى ، الذى يقود إلى (السادس من أكتوبر) ، فغمغم سائق السيارة بابتسامة متعاطفة :

- ليلة مضجرة يا سيدى .. أليس كذلك ؟!

ابتسم الضابط ، وهز رأسه إيجاباً ، ثم تتابع مرة أخرى ، وقال :

- كل الليالى متشابهة ، ولكننى لم أحصل على قدر

كاف من الراحة هذا الصباح .. إنها إجازة الأولاد ،

وهم يملئون المنزل صخباً وضجيجاً يوم إجازتهم .

تمتم السائق :

- أبقاهم الله (سبحانه وتعالى) لك .

تنهد الضابط ، واتسعت ابتسامته ، وهو يعتدل فى

مجلسه ، مضطجاً :

- أشكرك .

كان كل شيء يبدو هادئًا كالمعتاد ، والطريق خاليًا
تقريبًا من السيارات ، على الرغم من الطقس المنعش ،
في تلك الليلة الدافئة . ولكن سيارة الشرطة انطلقت
بسرعتها المنخفضة نسبيًا ، حسبما تقتضى الأوامر ،
و ...

وفجأة ، وثبتت سيارة زرقاء عبر الطريق ، على
نحو عنيف ، ومركبت أمام سيارة الشرطة بسرعة
مخيفة ، قبل أن تنحرف بحركة حادة ، وإطاراتها تطلق
صريرًا عاليًا ، ثم تنطلق عكس الاتجاه القاتلوني ..
وبكل قوته ، ضغط السائق فرامل سيارة الشرطة ،
محاولًا تفادي الاصطدام ، فأطلقت إطاراتها بدورها
صريرًا مخيفًا ، وهي تدور حول نفسها فى عنف ،
قبل أن تتوقف إلى جانب الطريق فى اللحظة الأخيرة ،
ويصدر محركها ضجة مزعجة ..

وهتف الضابط فى غضب :

- يا له من سائق أرعن مجنون !؟

أدار السائق محرك السيارة مرة أخرى ، وهو

يقول :

- هل نلحق به !؟

هتف به الضابط فى حدة :

- هل تسألنى !؟

قالها ، وهو يضغط زرًا خاصًا ، فى تابلوه السيارة ،
فتألق المصباح الأزرق المميز أعلاها ، وانطلق منها
ذلك الصوت الخاص ، وهى تندفع خلف السيارة
الزرقاء بأقصى سرعتها ..

ولكن قائد السيارة الزرقاء لم يتوقف ..

بل ، وحتى لم يبال بما يحدث ، وكأن سيارة الشرطة
تطارده شخصًا سواه ..

أو كأنه لم ير سيارة شرطة فى حياته من قبل ..

ولم تنخفض سرعته قط ..

كما أنه لم يكن من الممكن أن تتزايد ..

هذا لأنه كان ينطلق بأقصى سرعة ، يمكن أن

تسمح بها محركات السيارة بالفعل ..

وفى توتر ، غمغم سائق سيارة الشرطة ، وهو

يحاول زيادة سرعتها :

- إنه مجنون .. لم أر فى حياتى كلها شخصًا يقود

بهذه السرعة .. المحرك سيحترق منه حتمًا ، لو استمر

على هذا .

غمغم الضابط ، وهو يحاول كتمان دهشته وحيرته
وتوتره :

- ربما كانت سيارة مسروقة .

قال السائق في إصرار :

- هذا لا ينفي أنه مجنون .

كان قائد السيارة الزرقاء يتنطلق بالفعل بسرعة
جنونية مخيفة ، وكأنما لا يبالي إطلاقاً بما يمكن أن
يصبه ، أو يصيب السيارة ..

وكان للحاق به ، وهو يتنطلق بهذه السرعة مستحيلاً ..

لذا ، فقد ضغط الضابط زر جهاز الاتصال اللاسلكي ،

وقال عبره في حزم :

- من الدورية التاسعة إلى وحدة مراقبة الطريق ..

سيارة زرقاء ألمانية الصنع تتجه نحوكم بسرعة

مخيفة .. نحن نطاردها بلا أمل . استخدموا حواجز

الطريق الإلكترونيّة ، لمنعها من الاستمرار .

أتاه صوت زميله ، قائلاً :

- علم ، وسينفذ .

منحه زميله هذه الإجابة ، وأشار إلى رجاله على

الفور ، قائلاً بلهجة أمر :

- استخدموا الحواجز الإلكترونيّة .

أسرع الرجال يضغطون الأزرار ، فارتفعت حواجز

معنوية عالية تسد الطريق ، مع إشارات حمراء

تحذيرية ..

ولاحت السيارة الزرقاء من بعيد ، في الوقت

نفسه ..

وارتفع حاجبا ضابط مراقبة الطريق في دهشة ،

وهو يغمغم :

- رباه ! إنها تنطلق بسرعة خارقة بالفعل .

ثم التفت جهاز التحذير ، المتصل بمكبرات الصوت

الكبيرة ، وقال بلهجة صارمة :

- الطريق مغلق بحواجز إلكترونية .. نرجو التوقف

للتفتيش .. أكرر : الطريق مغلق بحواجز إلكترونية .

ولكن السيارة الزرقاء لم تتوقف ..

بل ولم تخفض حتى سرعتها ..

واتسعت عينا الضابط ، وهو يهتف :

- رباه ! مستحيل !

قالها ، ووثب من كسك المراقبة ، محاولاً الاحتماء

بأى شيء ، وانطلق رجاله يعدون مبتعدين ، والسيارة

الزرقاء تندفع نحو الحواجز الإلكترونية بأقصى
سرعتها ..

ثم ترتطم بها ..

وخيل للجميع أن قنبلة هائلة قد انفجرت في
أذانهم ، مع عنف الارتطام ، قبل أن تطير السيارة
الزرقاء في الهواء ، ثم تهوى لترتطم بالأرض كقنبلة
جديدة ، انفجرت بحق ، واشتعلت فيها النيران ..
وفي دهشة بلا حدود ، نهض الجميع من سقطتهم ،
بتطلعون إلى السيارة المحترقة ، وقد اتسعت عيونهم
عن آخرها ..

وبكل حيرة الدنيا ، تمت الضابط :

- ولكن لماذا ؟ لماذا ؟

أجاب أحد جنوده ، وهو يحك شعر رأسه في قوة :
- انتحار .. إنها حالة انتحار بالتأكيد .

وصلت سيارة الدورية في تلك اللحظة ، وتوقفت
بصرير مزهج ، قبل أن يهبط ركبها ، وينضموا لقائمة
المندهبين ، والسائق يفهم :

- كنت أعلم أن النهاية ستأتى على هذا النحو .

هتف الضابط :

- ولكن لماذا ؟ لماذا يقتل نفسه بهذا الأسلوب
العنيف ؟

هز ضابط مراقبة الطريق رأسه ، قائلاً :

- لست أدري .. لقد كان ينطلق بسرعة رهيبية ،
حتى إنه حطم الحواجز الإلكترونية ، التي لا يمكن
تحطيمها ، في الظروف العادية (*) .
غمغم ضابط الدورية :

- ولكننى ما زلت أتساءل عن ذلك

بتر عبارته بغتة ، وهو يحدق في السيارة المشتعلة
في ذهول ، هلتفا :

- يا إلهي ! مستحيل !

وكان من الطبيعي أن يشاركه الجميع ذهوله هذا ...
فأمام أعينهم مباشرة ، ومن السيارة المحترقة ،
خرج السائق في هدوء ، والنيران تشتعل في جسده

(*) حقيقة علمية ، فالأجسام تزداد صلابة ، وقوة على
التدمير ، كلما ازدادت سرعتها ، ولقد أجرى العلماء تجربة مؤكدة
في هذا الشأن ، استخدموا فيها كتلة من الشمع ، ثم إطلاقها في
مدفع ، نحو لوح من الصلب ، سمكه بوصة واحدة ، فنجحت كتلة
الشمع في اختراقه ، نظراً لتزايد صلابتها ، مع شدة سرعتها .

كله ، ووقف يتطلع إليهم .. بعينين تتألقان ببريق أحمر مخيف ..

ثم تحرك نحوهم ..

وبكل رعب الدنيا ، انتزع الجميع أسلحتهم ، وصوبوها إلى كتلة النيران المتحركة ، وهتف ضابط مراقبة الطريق :
- توقف .. توقف وإلا .. وإلا ..

لم يستطع إتمام عبارته ، وعيناه تحدقان في ذلك البريق الأحمر المخيف ، الذي نجح في اختراق اللهب ، لييث في عروقهم رعب الدنيا كله ..

وبلا وعى ، أو اتفاق مسبق ، أطلق الجميع نيران أسلحتهم في آن واحد ، نحو ذلك الشيء ، الذي يتجه إليهم ..

واتهمرت خيوط الليزر والرصاصات على السائق المشتعل كالمطر ..

إلا أن كل هذا لم يوقفه ..

لقد واصل سيره نحوهم ، وهم يتراجعون أمامه ، حتى هتف ضابط الدورية :

- السائقين .. صوبوا على السائقين ..

وكأنما كان الجميع ينتظرون هذا الأمر ، فانخفضت فوهات أسلحتهم كلها نحو سائق السائق المشتعل ..



وأمام أعينهم مباشرة ، ومن السيارة المحترقة ، خرج السائق في هدوء ، والنيران تشتعل في جسده ..

وانطلقت خيوط الأشعة والرصاصات بلا هوادة
هذه المرة ..

وكانت نظرية ضابط للدورية سليمة تمامًا ..
لقد أصيب السائقان بعنف ، فتهافتا ذلك الشيء
المشتعل على ركبتيه ، ورفع يده التي تفحمت بفعل
النيران إلى وجهه ، و ...
وفجأة ، خبا للبريق الأحمر من عينيه دفعة واحدة ..

وهوى على وجهه في عنف ..
ولثوان ، وعلى الرغم من سقوطه ، واصل الجميع
إطلاق نيرانهم نحوه ، قبل أن يهتف ضابط المراقبة :
- كفى .. كفى .

وتوقف الجميع في آن واحد ، وإن لم ينبس أحدهم
ببنت شفة ، وكلهم يحدقون في تلك الجثة المحترقة ،
التي استقرت مشتعلة في منتصف الطريق ، وهي
تحمل لغزًا لا حدود له ..

لغز تلك الليلة ..

ليلة المفاجآت ..

والرعب ..

★ ★ ★

« أخيرًا » ..

هتفت (نشوى) بالعبرة ، وهي تتحنى ، لتلتقط
جسمًا مستديرًا ، من خلف إحدى قطع الحطام ، داخل
بقايا معمل الدكتور (وائل) ، فسألته ألمها في اهتمام :
- هل عثرت على شيء ؟ !؟

لوححت (نشوى) بالجسم المستدير ، مجيبة في
حماس :

- خزنة أسطوانات مدمجة ، مزودة برتاج اليكترونى ،
وجهاز أمنى خاص ، مهمته محو كل ما تحويه
الأسطوانات ، عند أية محاولة لفتح الخزنة بالقوة ،
أو عند استخدام رقم سرى غير صحيح لثلاث مرات
متتالية .. إنها تحفة ثبقة ، صغيرة الحجم ، باهظة
للثمن ، إلى حد لا يعقل معه أن يتناعها المرء ، لو
يسعى لاستخدامها ، إلا لو كانت للمعلومات المسجلة
على الأسطوانات المدمجة داخلها ، مهمة وخطيرة ،
ولا بد من الحفاظ عليها بأي ثمن .

سألها (رمزي) في اهتمام :

- كم أسطوانة يمكن أن تحويها هذه الخزنة في

رأيتك !؟

لوحت بالخزانة الصغيرة مرة أخرى ، وهي تقول :
- ست أسطوانات كحد أقصى ، ويمكن أن تبلغ
سعة الأسطوانة الواحدة منها ثلاثين جيجابايت من
المعلومات .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

- يا إلهي ! هذه السعة تكفى لتخزين المعلومات
الأساسية عن كل آدمي ، فى العالم بأكمله (*) .

أجابتها (نشوى) فى سرعة :

- أو لتخزين مشروع متكامل ، بكل معلوماته
ونماذجه ثلاثية الأبعاد .

هز (رمزي) رأسه ، قائلاً :

- لا يمكن لأى مشروع ، أن يبلغ هذا الحجم .

هتفت فى حماس :

- إنك لم تشاهد مشروعات تطوير سطح (المريخ) .

ابتسمت (سلوى) لحماس ابنتها ، ثم لم تلبث

ابتسامتها أن تلاشت فى سرعة ، وهي تقول :

- ولكن ما تتحدثين عنه يعنى لك تواجهين مشكلة

عويصة ، وتحدياً مستحيلاً يا (نشوى) .. رتاج

(*) حقيقة .

إليكترونى بأرقام سرية شفرية خاصة ، ستكون معقدة
إلى أقصى حد بالتأكد ، ونظام أمنى لتدمير المعلومات ،
عند أول خطأ ، لو ثالث محاولة دخول فاشلة .. لست
أدرى فى الواقع سر كل هذا الحماس !

ضحكت (نشوى) ، قائلة :

- حماسى أمر طبيعى يا أماء ، فما يبدو لكم مستحيلاً ،

ليس كذلك بالتأكد ، بالنسبة لخبرة كمبيوتر مثلى ..

صحيح أن اختراق خزانة دقيقة كهذه ليس بالأمر

المسهل ، وسيحتاج حتماً إلى الكثير من التركيز والذكاء

والدقة ، إلا أنه فى النهاية ليس مستحيلاً .

واستعادت حماسها ، وهي تلوح بالخزانة مرة

ثالثة ، مستطردة :

- ثم إن هذا يمثل تحدياً ، يكفى لإعاش كل إرادة

ونشاط أى شخص يعشق عمله .

سألها (رمزي) فى هدوء ، وإن لم تخل عيناه

من نظرة إعجاب :

- إذن فأنت واثقة من قدرتك على التعامل مع

الأمر .

هزت كتفها ، مجيبة فى ثقة :

- دون أننى شك .

قالتها ، ووضعت الخزانة الصغيرة فى حقيبتها .
مستطردة :

- وأنا واثقة من أننا سنجد حل للفر ، وكل التفاصيل المطلوبة ، داخل تلك الخزانة الصغيرة .

تتهتت (سلوى) ، مضغمة :

- أتخشم هذا ، فالأمر يثير قلقى وحيرتى بشدة .

وصمتت لحظة ، قبل أن تتلفت حولها متممة :

- وخوفى .

وافقها (رمزى) بإيماءة من رأسه . وهو يقول :

- لست وحدك من تشعر بهذا يا (سلوى) ،

فالجميع هنا يشاركونك القلق والحيرة والخوف .

سألته (نشوى) :

- الخوف من ماذا ؟! إننا حتى لا نعلم ما الذى

حدث هنا .

أجلبها فى حسم :

- وهذا هو السبب الرئيسى للخوف يا (نشوى) .

وأشار بسبابته ، مستطردًا :

- المجهول .

رفقت (سلوى) فى خفوت :

- للمجهول ؟! أتخشى خوفهم من الغموض المحيط
بالحادث .

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- بل المجهول يا (سلوى) .. المجهول بشكل

مطلق .. كل خوف فى هذا للعالم هو خوف من

المجهول .. لهذا يخشى الناس للظلام ، وأعماق البحر :

والمنازل القديمة المهجورة ، بل وحتى المستقبل ..

خوفهم فى كل هذه الأحوال يتعلق بالمجهول .. بالشئ

الغامض الذى يجهلون ماهيته .. بالأبواب المغلقة ،

التي لا يعلمون ما الذى ينتظرهم خلفها .. بالنتائج

الغامضة لما يفعلونه ولما يقدمون عليه .. هذا هو

منبع الخوف الحقيقى ، القادر على هزيمة كل القلوب

والعقول .

تتهتت (سلوى) ، قائلة :

- أنت على حق .. هذا هو السبب الرئيسى لخوفى ،

كلما بدأنا مهمة جديدة .. إننى أجهل ما الذى سنواجهه ،

وأية مخاطر سنعرض لها .. ربما لو عرفت ..

لم تستطع إكمال عبارتها ، فتتمم مبتسماً :

- ربما لو عرفت لارتدت خوفاً .

حاولت أن تناقش هذا المنطق ، إلا أنها لم تلبث أن استسلمت له ، فهزئت كتفها ، قائلة في خفوت :
- ربما . الحكمة تقول : لو علمتم الغيب لا خترتم الواقع .

لوحت (نشوى) بيدها ، قائلة :

- الواقع أننى أتساءل كثيراً ، لماذا لم تظهر تلك الحوادث الغامضة ، إلا بعد أن أصبحت لدينا تكنولوجيا متطورة ومخابرات علمية نشطة ؟
ضحك ، قائلاً :

- هذا قول مضحك يا (نشوى) ، أشبه بمن تساءل يوماً : ماذا كان الناس يتنفسون ، قبل كشف الأكسجين ؟
الحوادث الغامضة موجودة منذ أبد الدهر ، ولكن نظرة الناس لها هي التى اختلفت ، فقديمًا كانت عقولهم تعجز عن فهم ما يحدث من حولهم ، فيعزون الأمر إلى الجن والعفاريت والأشباح والأرواح ، ثم تطوّرت عقولهم ، ومفاهيمهم ، وأصبحوا أكثر قدرة على استيعاب الأمور ، فزادت معارفهم ، و ...

قاطعت (سلوى) فى توتر :

- ومخاوفهم .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً :

- هذا صحيح ، فكلما تزايدت معارف الإنسان ، تزايدت معها مخاوفه أيضاً . وكما يمكنه اختراع ما ييسر به سبل الحياة ، فهو يخلق فى الوقت ذاته مخاطر جديدة ، تنشأ معها مخاوف جديدة .. الخوف من الفيروسات ، والارتفاعات ، والأماكن المغلقة .. بل والخوف من الحروب النووية والكيميائية ، والبيولوجية . والخوف حتى من الغزو الفضائى .. هكذا الدنيا .. كلما أخذنا منها ، تضاعف حتماً ما ندفعه من ثمن .

ابتسمت (نشوى) فى شيء من التوتر ، مغفمة :

- نظرية الأخذ والعطاء . إتنى أفهمها بالتأكيد .

ثم استدارت تواصل بحثها ، مستطردة :

- ولكننى أخشأها أيضاً .

أجابها (رمزى) :

- هذا أمر طبيعى ، فعندما نتأكد من أننا سندفع

ثمنًا ما حتمًا ، كلما حصلنا من الدنيا على مزية جديدة ،

يجعلنا نبدأ فى الشعور بالخوف ، فور حصولنا على

هذه المزية .. حتى عندما يشعر البعض منا بالمرح
والسعادة لبعض الوقت ، فهم يتصورون أنها مجرد
مقدمة لفترة أحزان قادمة .

ضحكت (سلوى) ، قائلة :

- آه .. العبارة الشهيرة ، التي تعقب كل نوبة
ضحك .. « اللهم اجعله خيراً » .
هتفت (نشوى) ضاحكة :

- بالضبط .

ثم استطردت فى لهفة مباغتة :

- رباه !! يبدو أننى قد عثرت على شيء جديد ..
التفت إليها زوجها وأماها ، وسأل الأول فى اهتمام :

- وما هو ؟

اتحنت تلتقط ذلك الشيء ، وهى تقول :

- لست أدري .. إنه أشبه بالعصا الكهربائية ، ولكنه
نصف شفاف ، و ...

كانت أصابعها تلامس تلك العصا نصف الشفافة
بالفعل ، وهى تنطق عبارتها ، فبترت قولها دفعة
واحدة ، وانتفض جسدها كله فى قوة ، قبل أن يرتد
إلى الخلف فى عنف ، وكأما أصابتها صاعقة كهربية ..

أما ما حدث فى الثانية التالية ، فقد كان مذهلاً ...
مذهلاً بحق ..

★ ★ ★

لثوان ، تجمدت الحياة داخل مشرحة المستشفى ،
و (نور) و (أكرم) يحدقان فى وجه الدكتور (حجازى) ،
وقد أطل من عيونهما دهشة واستنكار الدنيا كلها ،
قبل أن يهتف الأول :

- أى قول هذا يا دكتور (حجازى) ؟ أنت تعلم
مثلى أن الحادث قد وقع فى الوقت المدون بالفعل .

أجاب الدكتور (حجازى) :

- إذن فهذا يعنى أن تلك الجنة ، التى أثارى الرعب
هنا ، كان صاحبها يسير ويمتد ، وهو ميت بالفعل .

قال (أكرم) فى عصبية :

- دكتور (حجازى) .. هل تسخر منا ، أم أن هذه
أسخف مزحة سمعتها ، فى حياتى كلها ؟

هز الدكتور (حجازى) رأسه نفياً ، وهو يقول فى
حزم :

- لا هذا ولا ذلك يا (أكرم) .. إنه أمر طبي علمى
بحسب .

ثم أشار إلى الجثة ، قائلًا :

- انظروا هنا .. إنه أثر اصطدام السيارة .. مجرد جزء مضغوط ، وأوعية دموية مهشمة ، ولكن لا كدمات ، أو تجمعات دموية ، فما الذي يعنيه هذا ؟! هز (أكرم) رأسه في حيرة ، في حين أجاب (نور) في توتر :

- يعني أن الدم لم يكن يسري في العروق ، عندما حدث الاصطدام .

هتف الدكتور (حجازي) :

- بالضبط . على الرغم من أنه ، طبقًا لأقوال الجاني ، ولموضع الإصابة ، فقد كان صاحب هذه الجثة يعبر الطريق بالفعل ، عندما اصطدمت به السيارة .
حنق (أكرم) فيهما لحظة ، في دهشة كاملة ، قبل أن يهز رأسه مرة أخرى في عنف ، ويقول في حدة :
- أي حديث هذا ؟!

لم يعلق أحدهما على عبارته ، والدكتور (حجازي) يتابع :

- أما بالنسبة للرصاصات ، التي اخترقت للجثة ، فكل ثقبها ومداخلها باردة ، بلا نزيف أو كدمات

مصاحبة ، وهذا يعني أيضًا أن تلك الرصاصات قد اخترقت الجسد بعد موته .

قال (نور) ، في توتر بالغ :

- ولكن هذه الجثة كانت تسير داخل المستشفى بالفعل .. والكل رآها ، والحراس أطلقوا عليها النار .
أشار الدكتور (حجازي) بمبايسته ، قائلاً في حسم :
- ابحث أنت عن التفسير يا (نور) .. مهمتي هي إقرار الحقائق العلمية فحسب .

هتف (أكرم) في حنق :

- ومهمتي أنا هي محاولة فهم ما تقولونه .. أريد جملة واحدة عاقلة ، يمكنني فهمها واستيعابها ؟!
كيف تتصوران أنه من الممكن أن يموت شخص ما ، أي شخص ، ثم تعود إليه الحياة ، ليسير عبر الطريق ، وتصدمه سيارة مسرعة ، فيموت مرة أخرى ، ثم تعود إليه الحياة للمرة الثانية ، ويقتل رجلاً ، ويثير الرعب ، كل الرعب ، في المستشفى ، قبل أن يقطع أحدهم رأسه ، ويقتله للمرة الثالثة ؟! هل تتصوران أنه توجد قوة ، في الكون كله ، يمكنها أن تعيد الروح لأي كائن ، حتى للناموسة الصغيرة بعد موتها ؟!

أجابه الدكتور (حجازى) فى سرعة وحزم :

- مطلقاً ! كلانا ، (نور) وأنا ، نؤمن تماماً بأن الروح من أمر الله (سبحانه وتعالى) وحده ، بينما فى خلقه ، ويستردّها وقتما يشاء ، ثم يعثها بنفحة من إرادته (عزّ وجلّ) .. إننا حتى لم نشر إلى العكس ، ولا نجرو على هذا .. تحليلنا العلمى نفسه لم يخالف هذه الحقيقة قط .. كل ما قلناه هو أن هذه الجثة قد تحركت بعد موتها بوسيلة ما .. وهى وسيلة ميكانيكية على الأرجح ، تماماً مثلما يمكنك تحريك عروس من عرائس الماريونيت ، بخيوط معلقة فى أطرافها .. هذا لا يعنى قط أنك قد منحتها الحياة .

قال فى توتر :

- وأية قوة تلك ، التى يمكنها تحريك جثة ؟!

هزّ الدكتور (حجازى) رأسه ، قائلاً :

- لست أرى يا ولدى .. من الناحية العلمية ، لا توجد

قوة ، فى الكون كله ، سوى الله (سبحانه وتعالى) ، يمكنها تحريك جثة شخص بعد موته ، أما من الناحية العملية والواقعية ، فقد تحركت هذه الجثة ، وقتلت عامل المشرحة ، فى وجود شاهدين ، ثم أثار الرعب فى المستشفى كله ، بشهادة فريق من الشهود ، لتفقوا

كلهم على وجود ذلك البريق الأحمر فى العينين ، والذي لم أجد له أى تفسير علمى ، حتى هذه اللحظة .

قال (نور) فى توتر :

- ولكن هذا مستحيل ! هناك حتماً تفسير علمى ..

تحليل منطقى للموقف .. لمحة واحدة ، يمكن اعتبارها نقطة انطلاق ، لبلوغ الأمر كله .

تفرجت شفتا الدكتور (حجازى) لحظة ، ثم لم

يلبث أن أطبقهما ، فسأله (نور) :

- ما الذى أردت قوله يا سيدى ؟!

ترنّد الدكتور (حجازى) لحظة ، قبل أن يقول :

- إنها ليست نقطة خاصة ، يمكن اعتبارها طرف

خيوط ، ولكن ...

ترنّد مرة أخرى ، وكأنه يخشى الاستطراد ، فقال

(نور) بمستحثة :

- ما هى يا دكتور (حجازى) ؟!

أشار الدكتور (حجازى) إلى الجثة ، قائلاً :

- عندما بدأت فى فحص للجثة ، كان أول ما لاحظته

هو أن صاحب الجثة كان مصاباً بالتهاب شديد فى

الأعصاب ، ولكن ما أدهشنى هو أن هذا الالتهاب كان

يتركز على الأعصاب الحركية وحدها ، دون الأعصاب الحسية ، كما أنه كانت هناك تلك البقعة المحترقة .

بدا الاهتمام على وجه (نور) ، وردد (أكرم) في قلبي :

- بقعة محترقة ؟

أوما الدكتور (حجازي) برأسه إيجاباً ، ثم للنقطة رأس الجثة المقطوع ، وأداره في حركة سريعة ، وهو يشير إلى بقعة دلكنة ، في أعلى منتصف مؤخرة العنق ، مجيباً :

- نعم .. هذه البقعة .

تطل (نور) و (أكرم) في اهتمام إلى تلك البقعة ، التي بدت مستديرة تماماً ، في حجم عملة معدنية متوسطة ، ذات لون بني داكن ، وأطراف سوداء محترقة ..

وفي اهتمام قلبي ، غمغم (نور) :

- وما الذي يمكن أن يصنع علامة كهذه ؟

هز الدكتور (حجازي) رأسه نفياً ، وهو يجيب :

- لست أدري .. إنها تبدو كما لو أن أحدهم قد غرس عملة معدنية ملتهبة في مؤخرة عنق هذا المسكين ، وهو على قيد الحياة .

سأله (أكرم) :

- أليس من المحتمل أن تكون هذه الإصابة هي سبب الوفاة ؟

هز الدكتور (حجازي) رأسه نفياً ، وقال :

- لست أدري بعد .. سأفحص الرأس ، فور انتهائي من فحص الجسد ، وربما منحنا هذا معلومات جديدة . زفر (نور) في توتر ، مضغماً :

- لنعشم هذا .

لم يكذ ينطق عبارته ، حتى برز ضابط النقطة ، عند مدخل المشرحة ، قاتلاً :

- معذرة أيها السادة .

التفت إليه ثلاثتهم ، فأنقى نظرة متوترة على ذلك الرأس ، في قبضة الدكتور (حجازي) ، قبل أن يقول ، في شيء من العصبية :

- جثة أخرى وصلت ، ويريدون فحصها أيضاً في سرعة .

سأله (نور) :

- أية جثة تلك ؟

أجاب في سرعة :

- إنه مهندس ، فى شبكة للكهرباء الرئيسية .
تبادل (نور) و (أكرم) نظرة سريعة ، قبل أن
يقول الأول :

- آه .. للمهندس (ناجى) .
وأشار الدكتور (حجازى) بيده ، إلى منضدة
تشرح قريبة ، وقال :

- ضعاه هنا .
نقل الرجال جثة المهندس (ناجى) إلى المنضدة ،
ثم أسرعوا يغادرون المكان فى سرعة ، وكأنهم يخشون
أن يطاردهم شبحها ، فقال للدكتور (حجازى) :

- من الواضح أن أعصاب الجميع مشدودة للغاية .
قال (نور) :

- لو أنك رأيت ما رأوه لـ
بتر عبارته بقعة ، واعتقد حجاباه فى شدة وهو
يتعمم :

- ترى هل ؟
لم يتم عبارته ، وهو يندفع فجأة ، نحو جثة
المهندس (ناجى) ، فسأله (أكرم) فى توتر :

- ماذا هناك يا (نور) ؟

ولم يجب (نور) ..
فبكل اهتمامه وتركيزه ، رفع رأس جثة المهندس
(ناجى) ، و ...

واتسعت عيون الثلاثة عن آخرها ...
ففى أعلى منتصف مؤخرة العنق ، كانت هناك
بقعة بنية داكنة ، فى حجم قطعة عملة متوسطة ،
محاطة بإطار أسود ..

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ، مع هذه المفاجأة
العنيفة ..
وكانت قبلة ، تفجرت فى عقل (نور) عبارة
الدكتور (وائل) الأخيرة ..

« إنهم هنا .. »
وكانت صدمة جديدة فى تلك الليلة ..
ليلة الرعب ..
والمفاجآت .

★ ★ ★

٥ - الموتى ..

لا أحد يدري ما الذى حدث بالضبط ، ولا ما الذى
أشعلته (نشوى) ، بلامستها تلك العصا نصف
الشفافة ..

ولكن فجأة ، دون فى المكان فرقة مكتومة ..
ثم تألق الجدار المواجه كله ، و ...
وبرز القوس فجأة ..
قوس الذهب ..
واتسعت عيون الثلاثة فى ذهول ..
وخوف ..
فعبث تلك الفجوة ، التى انفتحت فى الجدار ..
أو فى الفراغ ..
عبرها ، هبت فى وجوههم رياح باردة كالثلج ..
وأمام عيونهم ، كانت هناك عاصفة جليدية عاتية ،
تملأ مكثاً ما ..
مكثاً رهيباً ، مخيفاً ، يمتد إلى ما لا نهاية ، تحت



ولم يجب (نور) ..

فبكل اهتمامه وتركيزه ، رفع رأس جثة المهندس ناجى ..

سماء بنفسجية داكنة ، يتألق في نهايتها جسم أحمر
مستدير ..

وكان هناك شيء ما يتحرك ، ومسط تلك التلوج ،
التي تصل إلى الزرقة ..
بل أشياء ..

أشياء عديدة ، تتحرك في كل مكان ، وإن صعب
تمييزها في الوهلة الأولى ..

هذا لأن تلك الأشياء لم تكن كيانات مادية واضحة ..
بل كانت ظلالا ..

مجرد ظلال ..

ظلال آدمية ..

أو شبه آدمية ..

ظلال طويلة ..

كبيرة ..

رهيبة ..

ولثانية أو اثنتين ، حدثى الثلاثة في هذا المشهد
المخيف ، قبل أن تتراجع (سلوى) في ارتياح ، هاتفة :
- ما هذا ؟

ولم تحصل على جواب ..

بل لم يبد حتى أن (رمزي) أو (نشوى) قد سمعا
ما قلته ..

كلاهما كان يحدق في تلك الظلال ، التي توقفت
كلها دفعة واحدة ، وكأما فقدت قدرتها على الحركة ،
وتحول المشهد كله إلى صورة ثابتة كبيرة ..

لولا العاصفة الجليدية ..

وعلى الرغم من أن تلك الظلال نصف الشفافة
كانت مصمتة تماما ، فقد خيل لـ (نشوى) أنها
جميعها تحديق فيها مباشرة ، بعيون وهمية كاللهب ..
عيون جعلت قلبها يخفق في عنف ، وهي تتمتم :
- لا .. لا .. لا ..

التفت إليها (رمزي) في توتر ، وشاهد أطرافها
المتجمدة ، وعينيها المتسعيتين عن آخرهما ، واللتين
تحملان تطباعا عجيبا مخيفا ، فتمتم :
- (نشوى) .

تفرجت شفاتها ، وكأنها ستجيب نداءه ، إلا أنها
لم تلبث أن رنقت ، في آلية عجيبة للغاية :
- ألف وستة وخمسون .. مائة وعشرة .. واو ..

باء ..

حدق (رمزي) و (سلوى) فى وجهها بدهشة ،
فاقت ذهولهما وخوفهما من ذلك القوس الملتهب ،
على قيد مترين منهما ، وهتفت (سلوى) :
- ماذا تقولين يا (نشوى) ؟!

كررت (نشوى) الأرقام مرة أخرى ، بنفس الآلية
العجيبة ، وهى تنحنى فى بطء ، لتلتقط تلك العصا
نصف الشفافة ..

وفى نفس اللحظة ، عادت تلك الظلال تتحرك ..
نحو القوس مباشرة ..

وارتجف جسد (سلوى) بين ضلوعها ، وهى بين
تحدق فى ابنتها ، التى التقت تلك العصا ، وجذبتها من
بين الحطام ، ثم اعتدلت واقفة ، وهى تتطلع إلى القوس ،
والظلال المقتربة ، بعينين تحملان شيئا عجيبا ..
ومخيفا ..

والتفت عينا (رمزي) بعيني (سلوى) ، التى
هتفت :

- رباه ! تلك العصا .

اندفع (رمزي) نحو (نشوى) ، وأمسك تلك
العصا ، هاتفا :

- تخلصى من ...

قبل أن يتم كلمته ، شعر بتيار كهربى عنيف
يسرى فى جسده ، ويدفعه إلى الخلف فى قوة ، حتى
ارتطم بالجدار ..

ولم يبد على (نشوى) أنها قد شعرت بما حدث ..
أو حتى بما حولها ..

ففى هدوء عجيب ، ودون أن تلتفت إلى زوجها ،
الذى ألغته الصدمة لرضا ، رفعت العصا نحو القوس ،
وهى تضغط كرة سوداء فى نهايتها ..

وزادت سرعة الظلال ..

واتجهت كلها نحو القوس ، الذى ازداد تألعا على
نحو عجيب ..

وفى لحظة واحدة ، فهمت (سلوى) ما يعنيه هذا ..
إنها تلك الظلال المخيفة ..

لقد سيطرت على ابنتها بوسيلة ما ...

وها هى ذى تدفعها للإبقاء على الفجوة مفتوحة ..
لتعبر إلى عالمنا ..

وصرخت (سلوى) :

- لا .. لا يا (نشوى) .. لا ..

أطلقت صرختها ، واندفعت نحو ابنتها ..
ولكن فجأة ، أصابتها ضربة عنيفة في صدرها ..
لم يكن هناك أحد بالقرب منها ، وعلى الرغم من
هذا فقد شعرت بالضربة وعنفها ..
وكان قبضة قوية نظمتها ، في منتصف صدرها
تماماً ..

ومع قوة اللطمة ، طار جسدها ، وارتطم بجدار
آخر ، ليسقط أرضاً في عنف ..
وفي نفس لحظة سقوطها ، هب (رمزي) واقفاً
على قدميه ، وهو يصرخ :
- لا تغطي هذا يا (نشوي) .. لا تسمحى لهم بالعبور .
ثم وثب نحوها بكل قوته ..
وكل إرادته ..

وعلى الرغم من ثقل وزنه ، بالنسبة إليها ، ومن
قوة انفضاخته ، استدارت إليه (نشوي) في سرعة ،
ولطمته بيدها في صدره ..
وكانت الصدمة من القوة ، حتى إنها أعادتته إلى
الخلف ، ليصطدم بالجدار مرة أخرى ، وكان سيارة
قوية قد ضربته في عنف ..

ولهث (رمزي) في شدة ، وهو يرقد أرضاً ، وبدأ
له من الواضح أن (ملوى) قد فقدت وعيها ..
أما (نشوي) ، فكانت تصوب تلك العصا إلى
القوس ، والظلال الرهيبة تقترب ..
وتقترب ..
وتقترب ..



اتبعث ضوء بنفسجي هادي ، داخل ذلك المصعد
الأسطواني الشفاف ، وهو يهبط إلى الطابق الثالث
تحت الأرض ، حاملاً الدكتور (ناظم) ، رئيس مركز
الأبحاث العلمية ، إلى حيث مكتب القائد الأعلى للمخابرات
العلمية المصرية ..

وما إن توقف المصعد ، حتى اتبعث داخله صوت
آلي ، يقول :

- للطابق الثالث سائب .. منطقة محظورة ، إاللفئات
العليا .. برجاء إبراز تحقيق الشخصية ، والخضوع
لنظام الأمن الإلكتروني .

أبرز الدكتور (ناظم) بطاقته المغناطيسية ، ودمتها
في تجويف خاص بجهاز الأمن الإلكتروني ، ثم

أصق راحته بلوح زجاجي ، وهو يذني عينه من
عدسة فحص دقيقة ..

وفي أن واحد ، تم فحص هويته المغنطيسية ،
بوساطة موجات خاصة ، ومسح بصماته وتوزيع
مسامه العرقية ، وانطلق شعاع دقيق يعيد رسم بصمة
قزحيته ، اليمنى ، قبل أن يعود ذلك الصوت الآلى
للابعاث ، قائلاً :

- الدكتور (ناظم) .. فنة (ا) .. مسموح بالمرور .
استعاد الدكتور (ناظم) هويته ، وتقدم نحو باب
مستدير ، انفتح في بطن كعسة آلة تصوير ، ليظهر
من خلفه القائد الأعلى واقفاً ، داخل حجرة واسعة ،
خالية من الأثاث تماماً ، فيما عدا مقعد واحد ، فى
منتصفها تماماً ، أمامه منضدة من المعدن ، استقر
فوقها جهاز كمبيوتر حديث ، من أفضل الطرز ، التى
ابتكرتها العقول البشرية مؤخراً ..

وما إن دلف الدكتور (ناظم) إلى الحجرة ، حتى
التفت إليه القائد الأعلى ، قائلاً :

- فى موعدك تماماً كالمعتاد .

غمغم الدكتور (ناظم) ، فى توتر ملحوظ :

- الأمر لا يحتمل التأخير .

وافقه القائد الأعلى بتنهيذة كبيرة ، وإيماءة رأس ،
قبل أن يغمغم :

- أنت على حق .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وهو يستطرد :

- ما الذى وصل إليه الأمر حتى الآن ؟

حان دور الدكتور (ناظم) ، ليطلق زفرة ملتهبة ،
قائلاً :

- ثلاث حالات قتل ، بالإضافة إلى حادث الدكتور
(والى) .

وتنهذ مرة أخرى ، متابعاً :

- من الواضح أن الموقف دقيق ، وبالغ الخطورة
للعالية .

تمتم القائد الأعلى :

- يا للمصيبة !

وراح يسير داخل الحجرة الواسعة فى صمت ،
وكل خلجة من خلجاته تشف عن توتر بالغ ، قبل أن
يتوقف ، ويلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، متسائلاً :

- هل يمكن أن نسيطر على الأمر ، قبل طلوع الشمس ؟

حتى الآن ، لم تخرج الأحداث عن دائرة مدينة
(السلاس من أكتوبر) ، واعتقد أن الأمور ما زالت
محصورة داخلها .

سأله القائد الأعلى :

- وماذا عن الضحايا ؟!

أجاب الدكتور (ناظم) ، مشيراً بأصابعه :

- سائق نقل ، ومهندس كهرباء ، ومحاسب ..

وثلاثتهم لقوا مصرعهم بالفعل .

سأله في قلق :

- وللشهود .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه ، مجيباً :

- عشرات .. وهذه هي المشكلة الرئيسية .

صمت القائد الأعلى بضع لحظات ، قبل أن يسأل

متوتراً :

- هل توصل (نور) وفريقه إلى شيء ما ؟!

لوح الدكتور (ناظم) بسبابته نفياً ، وقال :

- ليس بعد .

ثم استدرج في حزم :

- ولكنه سيتوصل إلى الحقيقة حتماً .. إنها مسألة

وقت فحسب .

وهزّ كتفيه ، قائلًا :

- أنت تعرف (نور) .

لوما القائد الأعلى برأسه ، مغففاً :

- بالطبع .

ثم علقت ملامحه تشفع عن التفكير العميق ، على

نحو جعل الدكتور (ناظم) يسأله :

- أهنك خطة محدودة ؟!

رفع القائد الأعلى عينيه إليه ، قائلًا :

- هذا الأمر يمكن أن يثير حالة من الذعر لا مثيل

لها ، لو أنه بلغ للعلامة .

أجاب الدكتور (ناظم) :

- ويمكن أن يثير ما هو أكثر ، لو بلغ السلطات

الحاكمة .

تضاعف توتر القائد الأعلى ، عندما سمع عبارة

الدكتور (ناظم) الأخيرة ، فتهد في عمق ، وعاد

يسير في الحجرة بضع لحظات في صمت ، قبل أن

يتوقف أمام أحد جدران الحجرة ، قائلاً :

- لقد أخطأنا منذ البداية يا دكتور (ناظم) .

هزّ الدكتور (ناظم) رأسه نفياً ، وهو يقول في

عصبية :

- لم يكن من الممكن أن نفعل سوى ما فعلناه
يا سيدي .. لقد تصرفنا وفقًا لكل القواعد المتعارف
عليها ، في مثل هذه الظروف ، ولو عاد الزمن إلى
الخلف ، لما تصرفنا بخلاف هذا .

أجابه القائد الأعلى في توتر :

- كنا نعلم أنها مخاطرة كبيرة .

قال الدكتور (ناظم) في إصرار :

- وكنا نعلم أيضًا أنه كشف علمي رهيب ، لا يمكن

أن نقف أمامه صامتين ، مهما كانت المخاطر والعقبات .

التفت إليه القائد الأعلى ، قائلًا :

- هل يمكنك إقناع القيادة السياسية بهذا ؟

ابتسم الدكتور (ناظم) ، ولوح بيده ، وهو يقول :

- القيادة السياسية لديها دائمًا استعداد للاقتناع ،

بشرط ألا يتعارض الأمر بشدة مع مصالح الجماهير .

قال القائد الأعلى في توتر :

- لو شئت النقة ، فالشرط الوحيد ألا يبدو الأمر

متعارضًا مع مصالح الجماهير ، على نحو علني

واضح .

أشار الدكتور (ناظم) بسبابته ، قائلًا :

- وهذا يتوقف على وسيلة عرض الأمر ، أو
تقديمه للجماهير ، أو ...

اكتسب صوته صرامة واضحة ، وهو يضيف :

- أو عدم تقديمه .

اتخذ حاجبا القائد الأعلى ، وهو يتطلع إليه مليًا

في صمت ، قبل أن يسأله في حزم :

- ماذا يدور في ذهنك بالضبط يا دكتور (ناظم) ؟

أجابه الرجل في سرعة :

- أعتقد أن أول ما ينبغي علينا فعله ، هو ألا نسمح

للأمر بالإفلات من أيدينا أكثر من هذا .

سأله القائد الأعلى في صرامة :

- وما الذي تعنيه بهذا ؟

أشار الدكتور (ناظم) بيديه ، مجيبًا :

- العزل .

كرر القائد الأعلى في حذر :

- العزل ؟

أجابه الدكتور (ناظم) ، ويداه تنافسان لسانه ،

في محاولة توضيح الأمر :

- نعم يا سيدي .. العزل .. عزل مدينة (السادس

من أكتوبر) تمامًا عن (مصر) .. إحاطتها بكل وسائل

الحصار الممكنة ، بحيث لا يدخلها ، أو يخرج منها
مخلوق واحد .

ثم ضغط حروف كلماته على نحو مقصود ، وهو
بضيق :

- أي مخلوق .

ازداد اعتقاد حاجبي القائد الأعلى في شدة ، وهو
يسأل :

- وكيف يمكنك عزل واحتجاز مثل هذه الأشياء ؟!
اتجه للدكتور (ناظم) نحو المنضدة الوحيدة في
الحجرة ، وضغط أحد أزرار الكمبيوتر فوقها ، وهو
يجيب :

- بنفس الوسيلة .

وإثر ضغطته ، انزاح أحد جدران الحجرة في بطن ،
ليكشف خلفه حاجزاً زجاجياً سميكاً ، يفصلها عن
حجرة أخرى ، بلغ من انخفاض درجات الحرارة داخلها
أن لتصفق قطع من الثلج بجدرانها وأرضيتها ..

وما إن لتكشف ذلك الحاجز الزجاجي ، حتى اعتقد
حاجبا القائد الأعلى في شدة ، وسرت في جسده
قشعريرة باردة ، وهو يتطلع إلى تلك الأشياء ، التي

تحركت نحو الحاجز الزجاجي ، على نحو مخيف ..
إلى الظلال ..

للظلال الرهيبة ..

★ ★ ★

« لا يمكنني أن أفهم هذا .. »

غصم (أكرم) بالعبارة ، في توتر بالغ ، وهو
يحدث في تلك الدائرة البنية الصغيرة ، ذات الأطراف
السوداء المحترقة ، في أعلى مؤخرة عنق المهندس
(ناجي) ، فهز الدكتور (حجازي) رأسه ، قائلاً :
- ولا أنا .

التفت إليه (أكرم) في دهشة ، فتابع في حزم :
- هذه القدرة تبدو أشبه باحتراق في الأنسجة ،
حدث من التصاق جسم معني ملتهب بالجلد .

نوح (أكرم) بيده ، قائلاً في عصبية :
- آه .. جسم معني مستدير .. هذا يذكرني بمواجهة
سابقة ، رواها لي (نور) يوماً .

والتفت إلى (نور) ، مستطرداً :

- مواجهة شيطانية (*) .

(*) راجع قصة (ابن الشيطان) ... المغامرة رقم (٧٢) .

- لو أن الأمور كلها تتعلق بما حدث هناك ، فسيكشف
(رمزي) و (سلوى) و (نشوى) أمراً ما حتماً .
غمغم (أكرم) محققاً :
- ربما كشفوه بالفعل .

لم يدر (نور) لماذا سرت في جسده قشعريرة
باردة ، عندما نطق (أكرم) هذه العبارة ، ولكنه حافظ
على صرامته ، وهو يقول مرة أخرى :
- ربما .

ثم التفت إلى الدكتور (حجازي) ، مستطرداً :
- اعتقد أن أفضل ما نفعله الآن هو أن نواصل
عملية التشريح ، فربما قادنا هذا إلى حقيقة جديدة ،
تتير الطريق أمامنا .

أشار إليه الدكتور (حجازي) ، قائلاً :
- لنت على حق .

ثم عاد يلتقط مشرطه ، وضغط زر جهاز التسجيل
الصغير ، الذي ينقل إليه ملاحظاته في أثناء التشريح ،
وهو يستطرد :

- سنتتبع الآن مسار أعصاب الحركة ، بحثاً عن
امتداد آثار تلك الالتهاب الحاد ، و ...

هز (نور) رأسه نفياً ، وقال في حزم :
- كلا يا (أكرم) .. هذا الأمر يختلف تماماً .
لوح (أكرم) بذراعه ، قائلاً في عصبية :
- وفيم يختلف ؟! السنا نواجه أفعالاً شيطانية ؟!
أجابه الدكتور (حجازي) :

- الأفعال الشيطانية أمور لا تفسر لها يا ولدي .
سأله في حدة :

- أديك تفسير لهذه الأمور إذن ؟!

بدا (نور) صارماً ، وهو يقول :

- هناك تفسير ما حتماً يا (أكرم) .. أعلم أن هذه
الأمور تبدو عجيبة ، مثيرة للدهشة والفرع ، ولكن
هناك تفسير لها في مكان ما .

أشار (أكرم) بسبابته ، قائلاً :

- في فيلا الدكتور (وليل) .

صمت (نور) لحظة ، قبل أن يجيب في صرامة :
- ربما .

قال (أكرم) في توتر :

- كل شيء بدأ هناك .

أجابه (نور) :

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع صوت نقات على باب
المشرحة ، فهتف (نور) :

- من بالباب ؟!

سمع صوت شخص يتحنج ، قبل أن يبرز الضابط
داخل المكان ، قللاً :

- هناك جثة ثالثة يا سيادة المقدم .

فجرت عبارته دهشة عارمة في ثلاثهم ، وهتف
(أكرم) مستكراً :

- جثة ثالثة ؟!

ثم هز رأسه في قوة ، مستطرداً :

- أية ليلة هذه ؟!

أما الدكتور (حجازي) ، فقد سأل الضابط في
اهتمام :

- أهو حادث عارض ، أم ...

قاطع الضابط متوتراً :

- (القاهرة) طلبت تسليمها لسيادتك على الفور .

انعقد حاجبا (نور) في شدة ، في حين قال

للدكتور (حجازي) :

- (القاهرة) ؟! هذا يعني أنه ضيف ثالث .

ثم أشار إلى الضابط ، مستطرداً :

- فليكن .. دعهم يدخلوها إلى هنا .

تنهد الضابط ، قللاً :

- لا يوجد أحد يا سيدي .. لقد أحضرتها بنفسى ..

الجميع رفضوا حتى مجرد الاقتراب منها ، وهددوا
بالاستقالة ، لو تم إجبارهم على هذا .

غمغم (نور) في توتر :

- إلى هذا الحد ؟!

هز الضابط رأسه ، وزفر مرة أخرى ، قبل أن

يقول :

- فكرة عودة جنث الموتى إلى الحياة لا تفارق

لذهنتهم ، ثم إن هذه الجثة ...

لم يستطع إكمال عبارته ، فتمتم الدكتور (حجازي) :

- فليكن .. أدخلها .

دفع الضابط المحفة أمامه ، حتى وضعها إلى جوار

مقدمة الفحص الثانية ، التي ترقد عليها جثة المهندس

(ناجي) ، ثم تراجع في خطوة واسعة ، لسأله (نور) :

- أهي مشوّهة إلى هذا الحد ؟!

غمغم الضابط :

- بل محترقة تمامًا .

هتف (أكرم) ، وهو يتطلع إلى الجثة المغطاة :

- آه .. لديهم حق إذن ، ففكرة عودة جثة مثلها

إلى الحياة تثير الفزع حتمًا ، في قلب أشجع للرجال .

أجابه (نور) في صرامة :

- الجثث لا تعود إلى الحياة ، إلا بأمر الخالق

(عز وجل) يا (أكرم) .. كل ما يحدث هو أنها تعود

للحركة .

قال الضابط في حيرة عصبية ، وهو يتراجع عائدًا

إلى باب المشرفة :

- لست أجد فارقًا .

أجاب (نور) :

- بل هو فارق جوهري للغاية يا رجل ، فالتكنولوجيا

قد تنجح في تحريك الجوامد ، أو الموتى ، ولكنها أبدًا

لن تعيد لهم الحياة ، مهما بلغت قوتها أو حدائتها ؛

فالروح هبة الخالق (عز وجل) ، هو وحده

(سبحانه وتعالى) يمنحها ويستردها وقتما ولينما

وكيفما يشاء .

تمتم الضابط :

- أنت على حق يا سيادة المقنم .. أنت على حق .

ثم تراجع أكثر إلى الباب ، وأدى للتحية العسكرية .

مستطردًا :

- على أية حال ، سأكون في مكتبي ، رهن إشارتكم ،

في أي وقت تشاءون .

قال الدكتور (حجازي) في هدوء :

- أشكرك .

غادر الضابط المكان في سرعة ، وكأنه يخشى

التواجد فيه أكثر من هذا ، فغمغم (أكرم) في عصبية :

- أراهن على أنهم يتصورون أننا مجانين ؛ لأننا

نتواجد مع ثلاث جثث ، في هذا المكان المخيف .

ابتسم الدكتور (حجازي) ، وقال وهو يتجه إلى

الجثة المحترقة ، ويكشف الغطاء عن وجهها :

- بالنسبة لي ، هذا أمر معتاد للغاية .

لم يبد عليه التأثر ، وهو يتطلع إلى الوجه المحترق

بشدة ، في حين تراجع (أكرم) في امتعاض ، هاتفا :

- يا للبخاعة !

أشار إليه الدكتور (حجازي) ، وهو يعيد الغطاء

إلى وجه الجثة ، قائلًا :

- لا داعي للنظر إليها ، ما تمت لم تعد هذا .

قال (أكرم) في عصبية ، وهو يقاوم حالة الغثيان ،
التي بنت أشبه بقبضة باردة تفوص في معنته ، حتى
تبلغ عمقها ، ثم تجذبها في قسوة ، محاولة لتزاعها
من جسده بلا رحمة :

- الأمر الأكثر بشاعة في رأيي ، هو أن يعتاد
المرء هذا .

هز الدكتور (حجازي) كتفيه ، مضغماً :

- ما باليد حيلة .

ثم عاد إلى الجثة مقطوعة الرأس ، وجنب مشرطه
الحاد فوق صدرها ، قائلاً :

- فلنعد إلى فحص الأعصاب ، و ...

توقف فجأة ، عندما شاهد نظرة الذهول المذعورة ،
في عيني (أكرم) ، وهو يحدق في نهاية المكان ،
وقال بابتسامة باهتة :

- (أكرم) .. لو أنك لا تحتفل متابعة عملية
التشريح ، فالأفضل لك أن ...

بتر عبارته مرة أخرى في دهشة ، عندما اقتزع
(نور) مسدسه بحركة سريعة ، وهو يتراجع إلى

الخلف ، ويصوبه نحو نفس البقعة ، التي يحدق فيها
(أكرم) ..

وبحركة آلية ، استدار الدكتور (حجازي) إلى
حيث ينظر الاثنان ..

وتجمد جسده كله دفعة واحدة ، وهو يحدق في
البقعة نفسها ، في ذهول تام ، جعل المشرط يسقط من
يده ، ويرتطم بالأرضية الرخامية ، لينبعث منه رنين
متصل مخيف ، في مثل هذه الظروف ..

فهنالك ، على منضدة التشريح الثانية ، كان
المهندس (ناجي) جالساً في هدوء ، وعيناه تتطلعان
إليهم بنظرة مخيفة ..

نظرة تتألق بهريق أحمر ..

لموى .

★ ★ ★

٦ - الخوف ..

تحركت (مشيرة) فى عصبية شديدة ، خارج فيلا الدكتور (وائل) ، وهتفت فى حلق ، فى وجه الضابط الممنول عن الأمن والنظام فى المنطقة :

- هذا غير مقبول ... غير مقبول وغير منطقي ، وغير عادل أيضا .. المفترض أن الدستور المصرى يحمى الحريات ، ويمنح كل مواطن حق الحصول على المعلومات ، ما دام هذا بوسائل شريفة مشروعة (*) ، ولكنكم هنا تحيطون الفيلا بحصار شديد ، وتمنعوننا من دخولها ، لو جمع المعلومات اللازمة ، لتقديم الحقائق كلها للجماهير ، وهذا ليس من حقكم .

(*) الدستور : هو مجموعة القواعد الأساسية ، التى تحدد نظم الحكم فى كل دولة ، وتبين السلطات العامة فيها ، واحتصاص كل منها ، وعلاقتها ببعضها ، وتقرر ما للأفراد من حريات عامة ، وحقوق قبل الدولة ، وهى تختلف عن القوانين العامة ، من حيث وضعها وتعديلها ، وأول دستور عرفته (مصر) فى العصر الحديث ، هو دستور عام (١٩٢٣) م .



فهايك ، على مضدة التشريع الثانية ، كان المهندس (ماحى)
حالياً فى هدوء ، وعيانه تطلعا إلىهم بنظرة مخيفة ..

أجابها الضابط في هدوء شديد :

- القاتون أيضا يحتم عدم الاقتراب من مسرح الحادث ، قبل أن يجمع المسئولون كل الأدلة والقرائن .

قالت في عناد :

- هذا يقتصر على رجال الأمن الجنائي وحدهم :

- هز رأسه نفيا ، وقال :

- بل كل من يحمل صفة رجل أمن ، على كل

المستويات .

صاحت محنقة :

- هذا نوع من التمييز .

أجاب في سرعة :

- رجال الإعلام أيضا يحصلون على امتيازات

خاصة ، تساعد على القيام بعملهم ، كتطبيقات

السفر ، وتصاريح دخول الأماكن السياحية المختلفة ،

وحرية إخفاء المصدر ، و ...

قاطعتها في عصبية :

- هذا لا يبلغ نصف امتيازاتكم ، كالسفر المجاني ،

ودخول كل الأندية والـ

قاطعتها هو هذه المرة ، وقد تلاشى هدوؤه دفعة

واحدة ، وحل محله مزيج من العصبية والغضب :

- سيّدة (مشيرة) .. لسنا هنا لمفاضلة امتيازاتنا ،

ومقارنة ، بعضها ببعض .. هذا المكان مسرح لحادث

غامض ، والأوامر تقتضي عدم الاقتراب منه ، بآية

حال من الأحوال ، وكل مناقشات الدنيا لن يمكنها

كسر هذه الأوامر .. هل فهمت ؟

قالت في عناد طفولي :

- كلا .. لم أفهم بعد .

أمسك مقبض مئذنته ، وهو يقول في صرامة ،

وعلى نحو يوحي بأن أعصابه توشك أن تفلت من

سجنها ، الذي حبسها فيه طويلاً :

- هناك وسائل أخرى لشرح الأمر ، وهي قانونية

أيضاً .

احتقن وجهها ، وهي تقول :

- إتني لكره التهديد .

أجاب في حدة :

- وأنا أيضاً ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات .

ازداد وجهها احتقاناً ، وانفجرت شفتاها بعض

الوقت ، دون أن تقول شيئاً . وكأثما اتحسست الكلمات في حلقها ، ثم لم تلبث أن هتفت محنقة :

- ألا تشعر بما يحدث حولك يا رجل .. الكل مصاب بالخوف والذعر ، ويبحث عن تفسير لما حدث هنا . منذ بضع ساعات . ومهمتنا نحن رجال الإعلام ، أن نبذل قصارى جهدنا ، لتقديم الحقيقة للناس .. الحقيقة التي يمكنها وحدها أن تزيل خوفهم وذعرهم . من ذلك المجهول ، الذي لا يدركون ماهيته .

أجاب في صرامة :

- أو تزيد من خوفهم وذعرهم .. إذا ما تبين لهم أنها أخطر مما كانوا يتصورون .

هتفت :

- عجباً ! نفس المنطق الذي تحدثت به (نور) ..

أتحفظون جميعاً الحديث نفسه يا رجال الأمن ؟!

زفر في توتر ، وهو يشيح بوجهه ، معلناً رفضه الاستمرار في المناقشة . ولكنها واصلت في غلاد ، وهي تشير إلى الفيلا :

- ألم تسمع تلك الفرقة المكتومة ، التي حدثت بالداخل منذ قليل ؟! ألم تسأل نفسك : ما الذي يمكن

أن يعنيه هذا ؟! أليس من المحتمل أن يكون هناك ما يحتاج إلى تدخلك ؟!

هزت رأسه نفياً ، وهو يقول :

- الأوامر تحتم عدم التدخل . إلا بناءً على طلب أعضاء الفريق العلمي بالداخل .

سألته في دهشة :

- أيًا كانت الظروف ؟!

أجاب في حزم :

- أيًا كانت الظروف .

هزت رأسها مستكرة . وهي تقول :

- أمر عجيب .. ومذا لو ...

قاطعها صوت مرتبك من خلفها ، يقول :

- سيّدة (مشيرة) .. هل يمكنني التحدث إليك قليلاً ؟!

احتقها أن يقاطعها أحد على هذا النحو ، فالتفتت

إلى صاحبه ، هاتفة :

- هل تعتقد أن الظروف مناسبة لهذا ؟!

لم تكذب عبارتها تندفع من بين شفّتيها ، حتى اتسمت

عينها في دهشة ، وارتفع حاجبها إلى قرب منابت

شعرها ..

فذلك الذى قاطعها ، لم يكن سوى صبرى فى
الخامسة عشرة من عمره على الأكثر ، يقف مرتبكاً
على نحو يدعو للشفقة ، ولقد تراجع فى حدة ، مع
أسلوبها الهجومى هذا ، وقال مذعوراً :

- آه .. معذرة .. لقد تصوّرت أن ... أن ...

لم يستطع إتمام عبارته ، من شدة اضطرابه
وارتباك ، فأسرعت ترسم على شفّتها ابتسامة ، فى
محاولة لتهدئة روعه ، وهى تقول :

- معذرة .. يبدو أننى كنت متوترة أكثر مما ينبغى .

تراجع فى ارتباك أكثر ، وهو يلوح بيده ، قائلاً :

- لا بأس .. لا بأس .. يمكننى العودة مرة أخرى .

وضعت يدها على كتفه ، وهى تواصل الابتسام فى

وجهه ، قائلة :

- لا داعى لهذا .. لادى ما يكفى من الوقت للاستماع

إليك .

ابتسم الضابط فى ارتياح ، عندما ابتعدا لعدة أمتار ،

وكانما راق له أن انتهت مناقشتهما على هذا النحو ،

فى حين سألت (مشيرة) الصبى فى اهتمام :

- ماذا لديك ؟

قال فى ثرؤد :

- إنكم تريدون معرفة ما حدث بالضبط .. أليس

كذلك ؟

أجابته فى حذر :

- بالتأكيد .. أليس ما يمكن أن تضيفه ، لما رأيناه

وسمناه بالفعل ؟

قال فى حزم ، لا يتناسب مع سنوات عمره القليلة :

- إنكم لم تروا شيئاً .

- تطلعت إليه فى تساؤل ، فتابع فى سرعة ، وهو

يشير إلى صدره فى زهو :

- لما لنا ، فقد رأيت كل شيء .

ثم استدرك فى حسم :

- وسجلته أيضاً .

وثب قلبها بين ضلوعها فى لهفة ، انتقلت واضحة

إلى صوتها ، وهى تسأله :

- سجلته ؟! ما الذى تعنيه بأنك قد سجلته ؟!

سألها فى صرامة :

- المهم أولاً .. كم ستدفعون ثمناً لهذه المعلومات ؟!

تراجعت فى دهشة ؛ لطبيعة المساومة ، ثم لم

تلبث أن استعادت لهفتها ، وهي تسأله :

- أخبرني أولاً .. ما نوع التسجيل بالضبط ؟!

ثم أضافت في حزم :

- الثمن سيتوقف على إجابة هذا السؤال .

أوما برأسه متفهما ، في رصانة مذهشة ، قبل أن

يجيب :

- لقد كنت أسجل مشهد الغروب ، بآلة تصوير

الفيديو ، التي أهداها لي والدي ، في عيد ميلادي

الأخير ، عندما حدث الانفجار .

كادت تصرخ من اللفة ، وهي تسأله :

- وهل سجلته ؟!

أجاب في زهو :

- بالتأكيد .

صاحت بكل انفعالها :

- رائع .

ارتسمت على شفتي الصبي ابتسامة واسعة ، وهو

يقول :

- ليس هذا فحسب .. لقد واصلت التسجيل أيضا ،

ويعتني الدقة ، منذ ظهور تلك القوس المتهب ،

الذي أحاط بالفيلة ، وحتى تلاشي تماما ، و ...

لم تنتظر حتى ينتهي من روايته ، وإنما أمسكت

كتفيه بكل لفة الدنيا ، وهي تقول :

- أريد هذا الفيلم .. أريده بأي ثمن .

قال الصبي في صرامة :

- ربما بدا لك الثمن باهظا .

هتفت :

- هذا لا يهم .

ابتسم في ارتياح ، قائلا :

- في هذه الحالة ...

وقبل أن يتم عبارته ، دوى الانفجار ..

انفجار عنيف ، في الجزء الخلفي من الفيلة ، أطاح

بالجزء المتبقي من الجدار الخلفي ، وانبعث معه لسان

محدود من اللهب ، قبل أن يخبو في لحظة واحدة ، مع

تردد دوى الانفجار ، الذي سمعه كل سكان الحي ..

ولو هلة ، تصور الجميع أنهم سيشاهدون ذلك

القوس المتهب مرة أخرى ..

ولكن هذا لم يحدث ..

كل ما تبعث بعد الانفجار ، هو سحابة من الدخان

لذاكن ، ارتفعت من موضع سقوط بقايا الجدار الخلفي ..

ومع اتبعائها ، اتدفع للجميع نحو الفيلا ..

ويكل دعر الدنيا ، هتفت (مشيرة) :

- يا إلهي ! (رمزي) .. (سلوى) .. (نشوى) ..

وقبل أن يبلغوا الفيلا ، برز على عتبتها (رمزي) ،

في حالة مزرية ، وهو يحمل (نشوى) الفاقدة الوعي ،

ويهتف :

- (سلوى) بالداخل .. انقذوا (سلوى) .

أسرع البعض يحاول التقاط (نشوى) من بين

ذراعيه ، ولكنه هتف ، وهو يتشبث بها في إصرار :

- انقذوا (سلوى) .. اتصلوا بالإسعاف بسرعة ..

أرجوكم .

كان الضابط قد اتصل بالإسعاف المستشفى بالفعل ،

في حين اتدفع بعض سكان الحيّ داخل الفيلا ، وسرعان

ما عادوا وهم يحملون (سلوى) ، التي تنزف الدماء

في غزارة ، من جرح بجبهتها ..

وفي ارتياح ، هتفت (مشيرة) :

- رياه ! ماذا حدث بالداخل يا (رمزي) ؟!

ضمّ (رمزي) (نشوى) إليه في قوة ، وكلّما

يحاول حمايتها من عدو مجهول ، وهو يقول :

- لم يكن هناك سبيل آخر .. تلك العصا كانت تعاونهم

على العبور إلينا .. كان لا بد أن أطلق عليها النار .

ثم رفع عينيه إليها ، مستطرذاً في صوت متهاك ،

مفعم بالأسى والمرارة :

- لم أكن أتصور أن تنفجر بكل هذا العنف !

وعاد يخفض عينيه إلى (نشوى) ، الفاقدة الوعي

بين ذراعيه ، مكملاً :

- لم أكن أتصور هذا قط !

قالت (مشيرة) في حيرة :

- (رمزي) .. ماذا أصابك ؟! لست أفهم شيئاً من

حديثك .

رفع عينيه إليها مرة أخرى ، وبدأت عليه الحيرة ،

وهو يتمتم :

- لا تفهمين شيئاً ؟!

كان من الواضح أنه يقاوم غيبوبة قوية ، تهاجم

عقله في شراسة ، فأمسكت (مشيرة) كتفيه ، وهزته

في رقبتي ، قائلة :

- لا تستسلم يا (رمزي) .. قاوم .. قاوم وأخبرني :

ما الذي حدث بالداخل ؟!

أسبل جفنيه ، وفتحهما فى صعوبة ، وهو ينخفض بحمله ، ليجلس على إحدى درجات السلم الأمامى الصغير للفيل ، فى نفس الوقت الذى سأل فيه للمصور فى لهفة :

- سيّدة (مشيرة) .. هل أقوم بتصوير ما يحدث ؟!
صاحت به فى حدة :

- بالطبع أيها الغبى .. لماذا نحن هنا إذن ؟!
راح الرجل يلتقط الأحداث فى حماس ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها دوى بوق سيارة تقترب ، فهتفت (مشيرة) :

حمداً لله .. سيارة الإسعاف وصلت بسرعة مثالية ..
كنت أظن أن المستشفى أبعد من هذا ، وأن ..
بترت عبارتها فى دهشة ، وهى تحلق فى أضواء العربات ، التى تقترب فى سرعة ، وغمغت فى حيرة :
- هل أرسلوا عدة سيارات إسعاف ، لم ؟!
قبل أن تكمل عبارتها ، دخلت السيارات القادمة دائرة الضوء ..

واتضحت معالمها ..

وشهقت (مشيرة) فى دهشة ..

فبين للسيارات الأربع ، التى وصلت إلى المكان ، لم تكن هناك سيارة إسعاف واحدة ..

كانت هناك سيارة (جيب) عسكرية ، وسيارتان محملتان بجنود صاعقة ، وثبوا منهما قبل توقفهما ، وانتشروا فى المكان فى سرعة مذهشة ..

أما السيارة الأخيرة ، فكانت سيارة كبيرة ، أشبه بالحافلة ، ولكنها بلا أية نوافذ ، باستثناء كابينة القيادة ، وفى أعلاها كان هناك جسم أشبه بالرادار ..

وقبل أن يستوعب أحد الحاضرين الموقف ، كان الجنود قد سيطروا على الحى كله ، فى نفس الوقت الذى تقدّم فيه ضابطهم من ضابط الشرطة ، وقال فى صرامة :

- مهمتك هنا انتهت رسمياً أيها الضابط .. الجيش سيتولى القيادة ، منذ هذه اللحظة .

بدا التوتر على ضابط الشرطة ، وهو يقول :

- أحتاج إلى أمر رسمى بهذا .

ناولته ضابط الجيش بضعة أوراق ، وهو يقول

بنقص الصرامة :

- ستجد كل شيء هنا .

راح ضابط الشرطة يراجع الأوراق في اهتمام ، في حين قالت (مشيرة) في توتر غاضب .

وما معنى كل هذا ؟! ليس من حق الجيش أن ...
قاطعها في صرامة :

- سيّدة (مشيرة) .. أين الأفلام ، التي تمّ تصويرها هنا ؟!

أدهشها السؤال ، ولأثر آلاف المخاوف في أعماقها ،
فقلت في حدة :

- وما شأنكم بها ؟! القانون ينصّ على ..

قبل أن تكمل عبارتها ، وبنفاد صبر لا مثيل له ،
استدار يشير إلى رجاله في حركة صارمة حادة عنيفة ،
فاندفع ثلاثة منهم نحو سيارة أنباء الفيديو ، في حين
انتزع رابع آلة التصوير من المصور ، الذي هتف في
اعتراض :

- ليس هذا من حقك .

ولكن الجندي ألقى آلة التصوير بكل قوته بعيداً ،
بعد أن انتزع أسطوانة التسجيل المدمجة من داخلها (*) .

(*) أحد طرز آلات تصوير الفيديو ، التي تم طرحها مؤخراً ،
تعتمد على تسجيل الصور مباشرة على أسطوانة مدمجة ، بنظام
الضغط المباشر (MPEG) ، ولقد أنتجتها شركة (SONY) .

ثم أطلق نحوها مدفعه الليزري ، لينسفها على نحو
أثر موجة من الذعر والفرع في المكان ، ضاعفها
ضابط الجيش ، وهو يقول بصوت صارم مرتفع ،
عبر مكبر صوتي صغير دقيق :

- أنا العقيد (باسل بهجت) ، من القوات الخاصة
بالجيش .. المدينة كلها تحت سيطرتنا الكاملة ، منذ
هذه اللحظة . وحتى إشعار آخر .. كل الاتصالات تم
قطعها .. مداخل ومخارج المدينة مغلقة .. حظر التجوال
يبدأ من الآن ، وحتى الثامنة من صباح الغد ، وكل
محاولة لمخالفة التعليمات ستتم مواجهتها بمنتهى
الحزم والصرامة .

انطلقت شهقات وصرخات البعض ، والكل يعدو
عائداً إلى منزله ، في حين قالت (مشيرة) في غضب :

- ما الذي يحدث هنا بالضبط ؟! بأي حق تحدث

كل هذه التجاوزات ؟!

لجأها العقيد (باسل) في صرامة ، وجنوده ينولونه
الأسطوانات التسجيلية المدمجة ، التي عثروا عليها
في سيارة (أنباء الفيديو) :

- الأسئلة غير مسموح بها ، وحظر التجوال يسري

عليك أيضاً ، والأفضل أن تبحثى عن أى مكان ، يمكنك قضاء ليلتك فيه .

هتفت فى سخط :

- ليلتى ؟! وهل تعتقد إبنى سألنى هنا حتى الصباح ؟! لقد صار المكان بغيضاً ، حتى إبنى ورجالى سئف منصرف مباشرة ، وستتقدم بشكوى عاجلة ، مع مشرق الشمس ، لوزير الدفاع مباشرة ، للتحقيق فى هذه المهزلة .

ابتسم العقيد (بامل) فى سخرية صارمة ، وهو يقول :

- معذرة يا سيّدة (مشيرة) ، ولكننا هنا بأمر من الوزير مباشرة ، وننفذ الخطة التى وضعها بنفسه ، أما بالنسبة لعودتك إلى (القاهرة) ، فلست اعتقد أن هذا متاح فى الوقت الحالى .

هتفت :

- ماذا تعنى بهذا ؟! إبنى مدير ورئيس تحرير جريدة (أنباء الفيديو) ، ومن المستحيل أن أبقى هنا ، و ..

اعتقد حاجبها فى صرامة شديدة ، وهو يقطعها ، قاتلاً :

- لن يغادر أحد المدينة ، حتى تأتى الأوامر بهذا . ثم التفت إلى ضابط الشرطة ، مستطرداً بنفس الصرامة :

- وهذا ينطبق عليكم أيضاً .

لوح الضابط بالأوراق فى يده ، قاتلاً ، فى ضيق : - لقد علمت .

هتفت (مشيرة) :

- وماذا عن المصابين ؟! لا بد أن يتم نقلهم إلى المستشفى على الفور .

أجاب فى حزم :

- مسئولى هذا الأمر بأنفسنا ، فنحن فى طريقنا إلى المقدم (نور) فى المستشفى .

وصمت لحظة ، ثم استطرد بابتسامة كبيرة :

- فلما فى شوق لمقابلته ... فى غاية الشوق .

ولم ترق لها ابتسامته ...

لم ترق لها أبداً ..

★ ★ ★

لا أحد من الرجال الثلاثة أمكنه أن يجزم بالوقت الذى مضى ، وهم يقفون جامدين كالتمثال ، فى مواجهة

جثة المهندس (ناجى) ، التى تحدى فيهم بعينين
حماوين متألفتين ..

ولكن الجثة هى التى حسمت الأمر فى النهاية ..
فطوال فترة الصمت ، كانت تتطلع إلى الثلاثة ،
وكانها تدرس قوتهم ، أو تسجل كل صفاتهم الجسدية
أولاً ..

ثم تحركت فجأة ...

وبحركة واحدة ، هبطت واقفة على قدميها ..
ومع هبوطها ، انتزع الثلاثة أنفسهم من ذهولهم ،
وهتف (نور) :

- احترسا .. إنها ستهاجمنا على الأرجح .

أمسك (أكرم) مسدسه فى قوة ، وهو يقول :
- ولكن لماذا تقف بهذا الشكل العجيب ؟! إن
النصف العلوى يبدو وكأنه منفصل عن النصف السفلى
تقريباً .

أجابه الدكتور (حجازى) ، فى عصبية واضحة :
- هذا صحيح . الجثة بها كسر فى منتصف
العمود الفقرى بالفعل ، حتى إنه ليدعشنى أن تتمكن
من السير .

قال (نور) فى حزم :

- لا تجعله يدهشك يا دكتور (حجازى) ؛ فهذا
يثبت أن مصدر الحركة ميكانيكى بحت ، وليس عصبياً
كما تصورنا ..

قال الدكتور (حجازى) :

- بالضبط .. الأعصاب هنا انقطعت حتماً ، مع تحطم
العمود الفقرى ، وعلى الرغم من هذا ..

قاطعه (أكرم) فى حدة :

- هل ستناقشان الحقائق العلمية الآن ؟!

قالها ، وأطلق النار ، نحو رأس الجثة مباشرة ..
وفى مشهد بشع ، رأى الجميع رصاصته تخترق
رأس الجثة ، التى مال نصفها العلوى إلى الخلف فى
حدة ، دون أن يتحرك نصفها السفلى من موضعه ،
وكانها بالفعل عبارة عن نصفين منفصلين تماماً ..
وفى ببطء مخيف ، اعتدلت الجثة مرة أخرى ،
وتضاعف بريق عينيها الأحمر المخيف ..

ثم تحركت نحوهم ..

وفى هذه المرة ، لم يطلق (أكرم) وحده النار ..
(نور) أيضاً اشترك معه ، فى إطلاق مسدسه

الليزى ، فى حين تراجع الدكتور (حجازى) إلى الخلف ، وهو يهتف :

- يا إلهى ! يا إلهى !

كان مزيجاً من تآلق خيوط الليزر ، ودوى الرصاصات ، على نحو آثار فزع المستشفى كله مرة أخرى ، إلى الحد الذى تدفع بعض المرضى فيه يغادرونها ، وقد فضلوا التخلّى عن العلاج ، على البقاء فى قروف كهذه ..

وعلى الرغم من خوفه وتوتره كالاخرين ، لبى ضابط نقطة الشرطة نداء واجبه ، وتدفع بفتحهم المشرحة ، لتسمع عيناها أمام المشهد الرهيب ، وهو يتمم :

- يارب العالمين !

ثم لم يلبث أن انتزع نفسه من ذهوله ، واشترك مع (نور) و (أكرم) فى إطلاق النار ، فى غزارة غير مسبوقة ..

وتوقفت الجثة فى منتصف الطريق ، بعد أن تحولت إلى ما يشبه المصفاة ، مع كثرة ما اخترقها من رصاصات وخيوط الليزر ..

والعجيب أنه مع توقفها ، توقف (نور) و (أكرم) والضابط عن إطلاق النار فى آن واحد ، دون اتفاق أو إشارة مسبقة ..

وفى ببطء ، وبنفس العينين للحمراوين المتألفتين ، أدارت الجثة وجهها بينهم ..

ثم راح تلك البريق الأحمر يخبو ..

ويخبو ..

ويخبو ..

وفجأة ، تلاشى البريق ..

وتهاوت الجثة أرضاً ..

عند قدمى (نور) و (أكرم) ..

ولشوان ، حنق الاثنان فيها بدهشة ، انتزعهما

منها بالضابط ، وهو يهتف غير مصدق :

- هل انتهى الأمر ؟!

هتف (نور) :

- لا أحد يدري .

استدار الضابط إلى بلطة الطوارئ ، الموضوعه

دخل صندوقها الزجاجى ، المعلق على الجدار ، وهو

يقول فى حزم :

- هناك وسيلة واحدة لحسمه .
ثم قفز إلى البلطة ، وحطم واجهة صندوقها
الزجاجي بمرفقه ، قبل أن يختطفها ، ويندفع نحو جثة
المهندس ..

وبكل توتره ، هتف الدكتور (حجازي) :

- لا .. لا تفعلها .

توقف الضابط بركة ، وقال في عصبية :

ولكنها الوسيلة الوحيدة ، لإيقاف كل هذا الرعب ..
لقد اختبرت هذا بنفسى .

هتف الدكتور (حجازي) :

- ولكننا نحتاج حتماً لفحص جثة كاملة .. لا بد أن
نعرف الصلة بين الأعصاب المخية وأعصاب الحركة .
تردّد الضابط لحظة ، قبل أن يقول في حدة :
- وماذا لو عادت إلى الحياة .

النقط الدكتور (حجازي) نفساً عميقاً ، محاولاً
السيطرة على توتره ، قبل أن يقول في صوت خشن
مبحوح :

- سأقبل المخاطرة .

قال (أكرم) في انفعال :



ومحاة ، تلاشى الريق . وتهيأت الحشة أرضاً ..

عند قدمي (نور) وأكرم) ..

- وماذا عن الأخرى ؟!

غمغم الدكتور (حجازى) :

- الأخرى ؟!

أجابه (أكرم) ، وهو يلوح بمسدسه فى عصبية :

- نعم .. تلك المحترقة .. لن يمكننى أن أتخيل

عودتها إلى الحركة .. إننى أفضل نصف المكان كله

الآن .

تطلع الجميع بالفعل إلى تلك الجثة المغطاة ، وارسم

فى أذهانهم ذلك المشهد البشع المحتمل ، لو أنها

استعادت بالفعل قدرتها على الحركة . وتمتم الدكتور

(حجازى) فى شحوب :

- نعم .. ماذا لو حدث هذا ؟!

أجابه (نور) فى حزم :

- لن يكون بإمكانها أن تتحرك على الأقل .

سأله فى دهشة :

- ماذا تعنى ؟!

التفت (نور) إلى الضابط ، قائلاً :

- أديك هنا أغلال فولانية للطوارئ ؟!

أجابه الضابط فى سرعة :

- نعم .. لدى أربعة .

قال (نور) :

- عظيم .. أحضرها كلها .. سنقيد يد وقدم كل

جثة إلى منضدة الفحص الرخامية الثقيلة ، و ...

قاطعه فجأة صوت صارم جاف ، يقول :

- دعك من خطتك هذه أيها المقدم ، فلن يمكنك

تنفيذها .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ،

وتركزت أبصارهم على الرجل للقوى الصدر ، المفتول

لعضلات ، الطويل القامة ، الذى تابع بنفس الصرامة

الجافة :

- العقيد (باسل بهجت) .. القوات الخاصة ...

سأولى للمسئولية ، منذ هذه اللحظة .

قال (نور) :

- المقدم (نور) من ...

قاطعه فى صرامة :

- أعرفك جيداً .

ثم تعقد حاجباه للفريران ، وهو يتابع فى شىء

من المراسمة :

- العالم كله يعرفك ، منذ انتهاء الاحتلال (*) .

تجاوز (نور) المعنى الخفى ، وراء أسلوب الحديث هذا ، وأشار بيده ، قائلًا :

- عظيم .. ما دمت تعرفنى ، فنتعلم إذن أننى لأمر فريقًا علميًا خاصًا ، تعتمد مهمته على فحص هذه الجثث الثلاث ، و ...

قاطع العقيد (بامل) فى صرامة :

- هذه الجثث الثلاث سيتم حرقها الآن ، بواسطة قاذفات الذهب .

اتسعت عيون (نور) و (أكرم) والضابط فى دهشة ، فى حين صاح الدكتور (حجازى) ، فى غضب مستنكر :

- حرقها ؟! أى قول هذا يا رجل ؟! إبنى هنا خصيصًا لتشرح هذه الجثث ، ثم إن المقدم (نور) هو المسئول عن العملية كلها ، وليس ...

قاطع الضابط أيضًا بنفس الصرامة ، وإن شأبتها نبرة شامتة :

(*) راجع قصة (النصر) . المظفرة رقم (٨٠) .

- المقدم (نور) لم يعد مسئولاً عن شيء .

اتعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يقول :

اسمع أيها الضابط .. صحيح أنك تفوقتى رتبة ، ولكن للمخابرات العلمية لها استقلالية خاصة ، وأنت تعلم هذا جيدًا .

أخرج العقيد (بامل) من جيبه ورقة رسمية ، تحمل توقيع القائد الأعلى ، وخاتم المخابرات العلمية ، وهو يقول ، بذلك للمزيج المستفز ، من الصرامة والشماتة :

- لقد تم إعفائك رسميًا .

ثم أضاف ، وهو يناولها - (نور) :

- ثم إنه لن يكون لديك وقت لكل هذا ، فزوجتك وابنتك وزميلك الطبيب النفسى مصابون ، وتم نقلهم إلى هنا .

اتعقد حاجبا (نور) فى توتر بالغ ، وهتف :

- يا إلهى ! (ملوى) و (نشوى) و (رمزى) !! ماذا أصابهم !!

أجاب العقيد فى صرامة :

- ثلاثتهم أحياء .. إنه لتفجار محدود فى الفيلا .

هتف (أكرم) :

- اللغة .

أشار العقيد (باسل) إلى جنوده ، فاندفعوا يحملون
الجثث الثلاث إلى الخارج ، في حين اندفع (نور) إلى
الباب ، قائلًا في غضب :

- فليكن أيها الضابط .. ساطمنين أولاً على الجميع ،
ثم سيكون بيتنا حديث آخر ، وعندما أعود إلى
(القاهرة) ، فسوف ..

قاطعته العقيد (باسل) كعادته ، وهو يقول في
صرامة :

- لن تكون بيتنا أية أحاديث أيها المقدم .. ولن
يكون بإمكانك العودة إلى (القاهرة) ، حتى ينتهى
الأمر كله ، فالمدينة تحت الحصار الكامل ، وحظر
التجوال بدأ بالفعل .

تبادل الجميع نظرة متوترة للغاية ، ثم التقط
(نور) جهاز الاتصال اللاسلكى الدقيق من جيبه ،
قائلًا في حدة :

- الأمر على هذا النحو يحتاج إلى تفسير منطقي .

أشار إليه العقيد (باسل) ، قائلًا :

- لا تحاول أيها المقدم ، فكل الاتصالات مع (القاهرة)
مقطوعة .

قال (أكرم) ساخرًا :

- حتى الاتصالات اللاسلكية ؟!

التفت إليه العقيد (باسل) ، قائلًا في صرامة :

- نعم أيها المتحذلق .. حتى الاتصالات اللاسلكية
مقطوعة ؛ لأن المدينة كلها محاطة بقبة من الطاقة
الكهرومغناطيسية غير المرئية .

مرة أخرى تبادل الجميع نظرات دهشة متوترة
للغاية ، قبل أن يهتف (نور) :

- ماذا يحدث بالضبط أيها العقيد ؟! أى أمر يختفى
خلف كل هذا ؟!

أجابه العقيد في شراسة :

- ليس هذا من شأنك الآن أيها المقدم .

قال (نور) في غضب :

- اسمع أيها العقيد .. ربما تم إعفائي من المهمة
رسميًا ، ولكننى مازلت أحد رجال المخابرات العلمية ،

والقاتون ما زال يمتحنى للحق في معرفة أية معلومات ،
تتعلق بالظواهر غير المفهومة .

قال العقيد في مخبرية :

- هكذا ؟

أجابه (نور) في صرامة :

- نعم .. هكذا أيها العقيد .. هذا ما يحتمه القاتون
والواقع .

رفع العقيد (باسل) حاجبيه ، في مخبرية أكثر ،
وهو يقول :

- القاتون والواقع .

ثم استطرد في صرامة مباغته :

- من الواضح إذن أنك تحتاج إلى مواجهة مباشرة
صريحة ، مع القاتون والواقع أيها المقدم .

قالها ، والتقط من جيبه ورقة أخرى مختومة ،
قدمها إلى (نور) ، وهو يتابع ، وقد استعد صوته

ولهجته ذلك المزيج العجيب ، من الصرامة والشملة :

- ففي حالتنا هذه ، جاء القاتون والواقع بأوامر
مباشرة ، صارمة ، لا تقبل المناقشة أو المراجعة ..
أوامر تقول : إنه محظور تمامًا الإدلاء بأية معلومات .

ثم انتقلت لبسامته الساخرة الشامتة إلى عينيه ،
وهو يضيق :

- وبالذات لك أنت وفريقك أيها المقدم ..

وفي هذه المرة ، بلغت دهشة الجميع ذروتها ..
فلقد كانت مفاجأة جديدة ..

وعنيفة ..

مفاجأة تستحق أن تحتل مكانها ، في تلك الليلة
الرهيبية ..

ليلة المفاجآت .

★ ★ ★



٧ - خلف القانون ..

لم ينجح القائد الأعلى ، للمخابرات العلمية المصرية ،
في السيطرة على توتره بسهولة ، وهو يسأل الدكتور
(ناظم) :

- كيف صار الأمر ؟!

أشار الدكتور (ناظم) بيده ، قائلاً :

- كل شيء على ما يرام .. العقيد (بامل) وصل
إلى المدينة ، ورجاله يحاصرونها تماماً ، ويفلقون كل
مداخلها ومخارجها في إحكام ، والفريق العلمي ، الذي
أرسلناه من الإدارة ، ليحل محل فريق (نور) ، أطلق
القبعة الكهرومغناطيسية بالفعل ، وقطع كل الاتصالات عن
المدينة ، فيما عدا أجهزة الاتصال الخاصة ، التي تستخدم
أسلوب للصوت المحمول على أشعة الليزر ، والتي يحملها
(بامل) وطاقم العلماء ، وقادة فرق الحصار وحدهم (*) ،

(*) أجهزة الاتصال الليزرية : أجهزة تعتمد في نقل الأصوات ،
على تحويلها إلى نبضة خاصة ، لشعاع من الليزر ، يتم استقبالها
بواسطة أجهزة عكسية ، تحول نبضة شعاع الليزر إلى ترددات
صوتية مسموعة ، وتبلغ نسبة الأعطال ، في مثل هذه الأجهزة
حدها الأدنى ، بين كل نظم الاتصال الصوتي الأخرى .

وبوساطتها فقط يتم نقل واستقبال المعلومات والأوامر ،
بيننا وبينهم .

سأله القائد الأعلى في توتر :

- وماذا عن (نور) ؟!

هز الدكتور (ناظم) كتفيه ، مجيباً :

- سيطر الأوامر في النهاية ، فهذا جزء من
واجبه .

تهدد القائد الأعلى ، مغمضاً :

- ولكن عقله لن يهدأ أبداً .

كرر الدكتور (ناظم) في حزم :

- سيطر الأوامر .

تابع القائد الأعلى ، وكأني لم يسمعه :

- وسيظل يسعى خلف الحل ، مهما كانت الصعوبات
والعقبات .

قال الدكتور (ناظم) ، وقد انقلب حزمه توتراً :

- ربما يحدث هذا ، ولكننا سنسعى لعزله عن

الموقف كله ، و ...

قاطع القائد الأعلى ، وهو يكمل :

- وسيتوصل إليه .

واستدار إليه في توتر بالغ ، مضيفا :
.. مهما فعلنا .

اتعقد حاجبا الدكتور (ناظم) ، وهو يقول :
- المشكلة ليست في قدرته على التوصل للحل ،
فأنا أتفق معك تماما ، فيما ذهبت إليه .. (نور)
سيتوصل حتما إلى الحل في النهاية ، مهما وضعنا
أمامه من عقبات .

وتضاعف التوتر في صوته ، وهو يستطرد :
- المشكلة الحقيقية أن ما سيتوصل إليه لن يروق
له على الإطلاق .

وافقه القائد الأعلى بإيماءة من رأسه ، وقال :
- هذا ما أخشاه حقا .

تدخل وزير الدفاع ، الذي بقي صامتا طوال الوقت ،
وقال في خشونة :

- لا يوجد سوى الحل الذي اقترحت منذ البداية .
ونهض يدرس كفيه في جيبي سرواله ، مستطردا
في صرامة :

.. أن نتخلص منه .

صاح به القائد الأعلى في غضب مستكر :

- نتخلص ممن ؟! من (نور) ؟! (نور الدين
محمود) ، أفضل ضابط مخابرات علمية ، في العالم
أجمع ؟! هل جنتت يا رجل ؟!

أشار إليه الوزير ، هاتفا في غضب :

- بل لنتما من أصابكما الجنون .. هل تعلمان
ما الذي يمكن أن يحدث ، لو توصل ذلك العبقري الفذ
إلى الحقيقة ؟! هل تدركان مصيركما ومصيري ،
لو علمت القيادة السياسية بما فعلناه من خلف
ظهورهم ؟!

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه ، وعقد كفيه
خلف ظهره ، وهو يقول في عصبية :

- أي شخص في موضعنا لم يكن ليفعل سوى
ما فعلناه .

صاح الوزير :

- أنا أعلم هذا .. للدكتور (ناظم) يعلم هذا ..
المنطق والعقل يؤمنان به .. حتى أنت تعلمه ، وتعلم
أيضا أنه من العسير أن تتقبله القيادة السياسية ، أو
توافق عليه .

قال القائد الأعلى في توتر بالغ :

- لو لم نفعل هذا لفعله غيرنا . إنه كشف علمي .
ومن المستحيل أن نفرط فيه بسهولة .

قال الوزير في حلق :

- حاول أن تقتنع الجميع بهذا .

ثم استطرد في حدة :

- ولكن بعد أن تتخلص من ذلك الضابط .

هتف الدكتور (ناظم) في حزم :

- لا .. لن يحدث هذا قط .. انزع من رأسك تمامًا

فكرة للتخلص من (نور) هذه .

انعقد حاجبا الوزير بضع لحظات ، قبل أن يسأل

في عصبية :

- ماذا تقترحان إذن ؟!

تبادل القائد الأعلى والدكتور (ناظم) نظرة سريعة

حاسمة ، قبل أن يقول الأول في صرامة :

- سنخرجه من العملية كلها .

قال الوزير في حدة :

- وما الجديد في هذا ؟ لقد أعطيناه منها رسميًا

بالفعل ، وتولى (ياسل) الأمر بدلًا منه .

أجابته القائد الأعلى :

- في هذه المرة سنخرجه بحق .. سنعيده وفريقه
إلى (القاهرة) .

انعقد حاجبا الوزير مرة أخرى ، وهو يفكر في

الأمر بعمق ، ثم لم يلبث أن قال في بطء :

- فكرة جيدة .

قالها ، والتقط جهاز الاتصال الخاص ، وأوصله

بجهاز بث الليزر ، وضغط زرّه ، وهو يقول :

- من صفر واحد إلى ألف وواحد .. هل تسمعي ؟!

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن يأتيه صوت

العقيد (ياسل) ، قائلًا :

- من ألف وواحد إلى صفر واحد .. أسمعك جيدًا .

قال الوزير في سرعة :

- استمع إلى الأوامر الجديدة يا ألف وواحد .. لقد

تغيرت الأمور بالنسبة للنمر وعائلته .. سيتم إخراجهم

جميعًا من القفص .

وصمت وهلة ، ثم أكمل في حزم وبطء :

- استخدم الخطة (ألف دال) .

لم يكن القائد الأعلى والدكتور (ناظم) يدركان

ماهية الخطة (ألف دال) ، إلا أن شيئًا ما في أعماقهما

جعلهما يتبادلان نظرة متوترة قلقة ..

وبصوت يحمل لهفة وارتياح الدنيا كلها ، أجاب
العقيد (باسل) :

- قرار حكيم يا صفر واحد .. حكيم للغاية .

وتضاعف قلق وتوتر القائد الأعلى ..

تضاعف ألف مرة ..

أو عدة آلاف ..

★ ★ ★

إلى مدى البصر ، لم تر (نشوى) أمامها سوى

الثلوج ..

ثلوج مائلة للزرقة ، تمتد إلى ما لا نهاية ، وتلتقي

على مدى البصر بشمس بنفسجية ، تكاد تختفي خلف

الجليد المنهمر ، بشمسها الحمراء الكبيرة ..

وتسأل الخوف مع البرد إلى عظامها ..

وارتجفت ..

ارتجفت كثيراً وطويلاً ، قبل أن يظهر ذلك الظل ..

ظل بشري ، أو شبه بشري ، طويل ، نصف

شفاف ، اتجه نحوها في ببطء رصين ، لو صبح القول ..

في البداية خافت واضطربت ..

وبحثت عن مهرب ..

عن مفر ..

عن مخرج من ذلك العالم المخيف ..

ولكن شيئاً ما ، في هذا الظل ، جعل خوفها

يتلاشى ..

لم تكن له أى ملامح واضحة ، وعلى الرغم من

هذا فقد بدا لها كهلاً وقوراً ..

وبداً وكلمه شخص ذو أهمية كبرى ..

سلطان .. ملك .. إمبراطور ..

أو حتى قائد عظيم ..

هذا الشعور جعلها تهدأ بعض الشيء ..

وتتأمل ..

وعلى مسافة مترين منها ، توقف الظل ..

وفي هدوء عجيب ، أشار إلى شيء ملقى على

الأرض ، عند قدميها ..

وانخفض بصرها ، لتتطلع إلى هذا الشيء ..

وارتجف جسدها في دهشة ..

إنها تلك العصا نصف الشفافة ، ذات المقبض

الأسود المستدير ..

وغمضت (نشوى) :
 - لقد تحطمت ..
 نطقت الكلمات ..
 نطقها حتماً ..
 ولكن العجيب أنها لم تسمعها قط ..
 كل ما أحاط بها كان مغلفاً بالصمت ..
 الصمت بلا حدود ..
 ولكنها كانت تفهم كل شيء ..
 تفهم حتى ما لم يقله ذلك الظل ، وهو يشير بيده
 إلى نقطة قريبة ..
 لأنها فهمت ، فقد قالت في حيرة :
 - لا .. لم أعر على أية عصا أخرى .. إنها
 الوحيدة التي كانت هناك .
 ولم يتحرك الظل هذه المرة ..
 ولكنها فهمت ..
 وهتفت :
 - مستحيل ! .. أين يمكن أن توجد عصا أخرى ؟!
 وتحركت يد الظل ..
 واعتصرت هي عقلها ..



وارتجف جسدها في دهشة ..
 إنها تلك العصا نصف الشفافة ، ذات المقبض الأسود ..

أين يمكن أن توجد عصا أخرى ؟

أين ؟

أين ؟

أشار الظل بيده ، فأومات برأسها ، متممة :

- فليكن .. سأبحث عنها .. سأبذل قصارى جهدى ..

كان الظل يتحرك فى هدوء رصين ، وهو يشير إلى بقعة أخرى ، إلى جوارها مباشرة ..

وبدل دهشتها ولهفتها ، هتفت (نشوى) :

- آه .. خزانة الأسطوانات المدمجة .. أين هى ؟

أين الخزانة ؟

« لية خزانة يا (نشوى) ؟ »

فى هذه المرة ، كانت العبارة مسموعة واضحة ،

فهتفت فى دهشة :

- لقد سمعتك .. سمعتك .

ولكن الظل كان قد اختفى ، ولم يعد أمامها سوى

تلك الثلوج ، الممتدة إلى ما لا نهاية ، والسماء

البنفسجية ، ذات الشمس الحمراء ..

« لية خزانة ؟ »

مرة أخرى ، سمعت العبارة فى وضوح شديد ،

فهتفت :

- خزانة الأسطوانات .

ومع هتافها ، تلاشى المشهد كله من أمامها بفتة ..

وفتحت عينيها ..

فتحتها على مشهد مختلف تماماً ..

مشهد والدها (نور) ، وزوجها (رمزى) وزميلها

(لكرم) وهم يتطلعون إليها فى اهتمام ، والأول يتساعل

فى اهتمام قلق :

- لية خزانة أسطوانات ؟

انتبهت فجأة إلى أنها ترقد على فراش صغير ،

أشبه بذلك المستخدم فى للمستشفيات ، وإلى أن جبهة

(رمزى) محاطة بالضمادات ، فهتفت مذعورة :

- لهى .. (رمزى) .. ماذا حدث ؟

ثم استعاد ذهنها كل ما حدث فجأة ، فاستدركت فى

ارتياح :

- رياه ! .. إنه لنا .. لنا المسنولة عن كل ما حدث .

أمسك (رمزى) يدها فى حنان ، قائلاً :

- بل لنا المسنول يا حبيبتي .. لنا نسفت تلك العصا .

خفق قلبها مع قوله ، وتمتمت فى أسى :

- يا للخسارة !

ثم سألت في لهفة :

- وماذا عن أمي ؟! كيف هي ؟!

رَبَّتْ عليها (نور) مهدئاً ، وهو يقول :

- (سلوى) بخير والحمد لله .. كانت الصدمة

قوية ، حتى إنها كادت تفقد حملها .. ولقد بذل الأطباء

هنا جهداً خرافياً ، حتى أمكنهم السيطرة على الموقف ،

ولكنها ستظل فاقدة الوعي حتى الصباح ، وعندما

تستيقظ ، سيكون كل شيء على ما يرام بإذن الله .

تتهدد متممة ، وهي تغلق عينيها :

- حمداً لله .. حمداً لله .

وفجأة ، استعاد ذهنها المشهد كله دفعة واحدة ،

فعاثت تفتح عينيها ، هتفة :

- أين خزانة الأسطوانات المدمجة ؟!

سألها (نور) في توتر :

- إنه ليس هذيان عودة الوعي إذن .. أخبريني

يا (نشوى) .. عن أية خزانة تتحدثين ؟!

أجابته في انفعال :

- لقد عثرنا عليها وسط الحطام .. إنها خزانة

خاصة ، يحتفظ فيها المرء عادة بأسطوانات مدمجة

ذات أهمية بالغة .. مشروع متكامل على الأرجح ..

لقد كانت داخل حقيقتي الخاصة .

قال (أكرم) في حلق :

- أراهن على أن ذلك العقيد المهووس قد استولى

عليها إذن .

اعتدل (نور) ، وهو يقول :

- ربما .

ثم أضاف في حزم :

- وربما لا .

التفت إليه (أكرم) في حركة حادة ، وتألقت عيناه

في جنل عجب ، وهو يقول :

- (نور) .. هل تفكر فيما أفكر فيه ؟!

لم ينبس (نور) ببنت شفة ، وهو يتطلع إليه ،

ولكن شيئاً ما في تلك الابتسامة ، على طرف شفثيه ،

جعل (أكرم) يهتف في ارتياح :

- كنت أعلم هذا .

أمسك (رمزي) ذراع (نور) ، قائلاً في توتر :

- (نور) .. هل تفكران في الخروج ، في انشاء

فترة حظر التجوال ؟

أجابه (نور) فى صرامة :

- هناك أمر غامض ، خلف كل ما يحدث يا (رمزى) ..
أمر يوحي بأن كل شيء هنا يتم خلف ظهر القانون .

قال (رمزى) بقلق شديد :

- الرجل يحمل أوراقا رسمية يا (نور) .

أشار (نور) بسبائته ، قائلا :

- ولغزا غامضا أيضا يا (رمزى) .

ثم راح يتحرك فى الحجرة ، مكملًا :

- كلكم تعلمون أننا أفضل فريق فى الإدارة كلها ،

وأن الدولة طالما منحتنا ثقتها ، فى أمور خطيرة

للقاية . تعلق بها أحيانا مصير كوكبنا كله ، فلماذا

اعتبرتنا فجأة غير أهل لثقتها ؟

قال (رمزى) :

- المسئولون لديهم أسبابهم يا (نور) .

قال (نور) فى سرعة :

- بالتأكيد ، ولكن كل الأسباب تستند دائما إلى أمر

منطقى .. وهذا الأمر يبدو لى مفتقدا هذه المرة ..

وعاد يتحرك فى المكان ، مستطرذا ، وكأنه يراجع

الأمر مع نفسه :

- دعنا نراجع للموقف كله منذ البداية .. انفجار

فى فيلا الدكتور (وائل شوقي) ، تظهر بعده فجوة

غامضة ، لا تلبث أن تتلاشى قبل وصولنا ، مخلفة

عددا من حوادث الانتحار الغامضة ، يلقي المنتحرون

خلالها مصرعهم ، ثم يعودون إلى الحركة بعد موتهم ،

فى مشهد رهيب مخيف ، وترون أنتم فى الفيلا ، بعد

أن تضغط (نشوى) مقبض عصا عجيبة ، عثرتم

عليها فيها ، فجوة أخرى تفتح أمامكم ، وتظهر داخلها

ظلال مخيفة ، تكاد تعبر إلى عالمنا ، لولا أن نسفت

أنت العصا يا (رمزى) .. ويعود بنا هذا إلى عبارة

الدكتور (وائل) بعد الانفجار .. « إنهم هنا .. » .. كل

هذا يشير إلى حقيقة واحدة مخيفة ، وهى أن الدكتور

(وائل) ، عالم الفيزياء والطاقة للذ ، كان يقوم

بتجارب خاصة للغاية ، حول للطاقة ، وأن هذه

التجارب قد انتهت بفتح فجوة بين عالمنا وعالم آخر

مجهول ، تحيا فيه تلك الظلال .

ثم توقف ، ورفع رأسه فى حزم ، مستطرذا :

- وأن بعض هذه الظلال قد نجحت فى العبور إلى

عالمنا بالفعل .

سرت قشعريرة باردة في جسد (أكرم) ، وهو يقول :

- بالتأكيد يا (نور) .. أنا نفسي رأيت أحد هذه للظلال .

قال (نور) ، مشيرًا بيده :

- كلنا رأيناها يا (أكرم) .. لم نرها بصورتها المطنقة كظلال ، ولكننا رأينا تأثيرها ، عندما احتلت الأجساد البشرية ، ودفعتها للانتحار ، أو عملت على تحريكها بعد موتها .. كلنا علمنا بوجودها . و ..

بتر عبارته بغثة ، واتعقد حاجباه في شدة ، وبدت عليه علامات التفكير العميق ، فسأله (رمزي) في قلق :

- (نور) .. هل خطر ببالك أمر ما ؟!

رفع (نور) إليه عينين مغمضتين بالتوتر ، دون أن يجيب ، فتمتمت (نشوى) :

- أبل .. لديك أمر خطير للغاية .. أليس كذلك ؟!

أشار (نور) بسبابته ، وهو يقول في توتر بالغ :

- الجميع كانوا يعلمون بالفعل .

سأله (أكرم) :

- من تقصد بالجميع يا (نور) ؟!

أجابه (نور) ، وعقله ما زال يفكر في عمق :

- الإدارة .. مركز الأبحاث .. وزارة الدفاع .. كلهم كانوا يعلمون بأمر تلك الظلال .. وربما بأمر تجارب الدكتور (وائل) أيضًا .

تفجرت الدهشة في عقول الجميع ، وهتف (رمزي) مدعورًا :

- (نور) .. ما تقوله أمر خطير للغاية .

قال (نور) في سرعة :

- ومنطقي أيضًا للغاية يا (رمزي) .. لقد حضرنا إلى هنا مباشرة ، فور حدوث الانفجار ، وإبلاغه للإدارة ، كجزء من عملنا الرسمي ، ولم يتم إسناد المهمة لنا بصورة خاصة ، وكان ينبغي ، وفقًا للمعتاد ، أن ينتظر الرؤساء تقريرنا الأولي ، قبل اتخاذ أية إجراءات أخرى . وهذا ما يحدث دائمًا ..

ثم عاد يشير بسبابته ، مستطردًا في توتر :

- إلا في هذه المرة .. لقد تحرك الجميع في سرعة وعصبية ، وكأنهم يعلمون مسبقًا ما الذي يخبئ خلف انفجار الفيل .. لقد أرسلوا الدكتور (حجازي) ، ليقوم بتشريح جثث الموتى بنفسه ، على الرغم من أنه كبير الأطباء الشرعيين ، وليس من المنطقي أن ينتقل

شخصياً إلى هنا ، دون مساعدتين أو معاونين ، إلا لو
كان الأمر ينطوي على حدث جلل ..

قال (أكرم) محذراً :

- الدكتور (حجازي) حضر لتشريع جثة تحركت بعد
موتها ، وهذا في رأي حدث جلل .

سأله (نور) :

- لماذا تم منعه من استكمال عملية التشريح
إذن ؟! ولماذا حضر رجال القوات الخاصة إلى هنا
بهذه السرعة ؟! ثم لماذا تم عزل المدينة وحصارها ،
وقطع كل الاتصالات السلكية واللاسلكية عنها ، بل
وإحاطتها بقبة كهرومغناطيسية ، وكأن المسنولين
يخشون خروج كائنات غير بشرية منها ؟!

قال (رمزي) وقد انتقل إليه قلق (نور) وشكوكه :

- سؤال آخر يا (نور) .. كيف حصل الدكتور

(وائل) على التمويل اللازم لإجراء تجاربه ؟! صحيح
أنه صنع ثروة محدودة من أبحاثه وجوائزه ، ولكنها
لا تكفي للإنفاق على تجارب فيزيائية حول الطاقة ،
مع ارتفاع ثمن أجهزة البحث ، التي رأيناها محطمة
في فيلته .

أسرعت (نشوى) تقول :

- هذه الأجهزة تساوي ثلاثة ملايين على الأقل .

قال (نور) في حزم :

- الأكثر أهمية هو العصا .

سأله (أكرم) في حيرة :

- ولماذا هي بالذات ؟!

أجاب (نور) :

- لأننا لم نر مثيلاً لها من قبل ، على الرغم من
أن طبيعة عملنا تسمح لنا بمتابعة كل التطورات
التكنولوجية ، حتى السرية منها ، وهذا يعني أنها قد
صنعت خصيصاً ، مما يعني إمكانيات صناعية وتقنية
ضخمة ، لا يمكن أن تتوافر لشخص بمفرده .

قال (رمزي) في حذر :

- ربما كانت ملكاً لتلك الظلال .

اندفعت (نشوى) ، قائلة :

- لا .. ليست ملكاً لهم .

التفت إليها الجميع في دهشة ، واعتقد حاجباً

(نور) ، وهو يتطلع إليها في قلق ، في حين سألتها

(رمزي) في حيرة قلقة :

- وكيف أمكنك الجزم على هذا النحو ؟!

ترنّدت لحظة ، قبل أن تقول :

- أنا وثقة من هذا .

سألها (نور) ، في شيء من الصرامة :

- كيف ؟!

ترنّدت لحظة أخرى ، ثم اندفعت تروى لهم تلك

الحلم ..

والعجيب أنهم استمعوا إليها في اهتمام كامل .

وكانها تروى حقائق واقعية ، حتى انتهت من روايتها .

وتمتعت في عصبية :

- على كل حال ، إنه مجرد حلم .

تبادل الرجال الثلاثة نظرة صامتة ، قبل أن يفهم

(أكرم) :

- لا بد أن نستعيد خزانة الأسطوانات هذه بأى

ثمن .

تمتم (نور) وعيناه لا تفارقان وجه ابنته المملوك :

- بالتأكيد .

أما (رمزي) ، فقال في توتر :

- أعتقد أن هذا الحلم مجرد انعكاس نفسي .

تطلعت إليه (نشوى) في اهتمام ، في حين سألته
(أكرم) في حذر :

- انعكاس نفسي لماذا ؟!

أجابته ، مشيراً بكفيه في انفعال :

- لقد شاهدت الظلال بنفسها ، وشعرت في أعماقها

برعب شديد منها ، لذا فقد حاول عقلها الباطن

السيطرة على تلك الخوف ومقاومته ، فافتعل الحلم ،

الذى تبدو فيه هذه الظلال كصديقة وليست عدوة .

قال (أكرم) مستكراً :

- بعد كل ما فعلته .

أجابته (رمزي) :

- للظلال فعلت هذا في عالم الواقع ، وليس في

حلم (نشوى) .

قال (أكرم) في إصرار :

- ولكن لو أنتى رأيت تلك الظلال ، عبر فجوة

مخيفة ، لما حلمت بها أبداً كأصدقاء . بل لراودتنى

كل كوابيس الدنيا إلى الأبد .

هزّ (رمزي) رأسه ، قائلاً :

- للعقل الباطن له ألعبيه يا (أكرم) .

أشار (أكرم) إلى رأسه ، وهو يقول في حدة :
- لو أنه رأى الظلال في صورة صديقة ، فهذه
حماقاته وليست الأعيه .

وهنا تدخل (نور) ، قائلاً في صرامة :

- ربما كان هناك تفسير آخر لما رأيته (نشوى) .
سأله الاثنان في آن واحد :
- وما هو يا (نور) ؟!

لم يجب سؤالهما على الفور ، وإنما توجه نحو ابنته ،
وجذبها في رفق ، لتجلس في فراشها ، وهو يقول :
- معذرة يا صغيرتي .

وارتجفت أصابعه ، وهو يزيح شعرها الناعم عن
مؤخرة عنقها ، و ...
وانتفض جسده كله في عنف ..

فهناك ، في أعلى مؤخرة عنقها ، كانت هناك
دائرة بنية محترقة ، في حجم عملة متوسطة ، يحيط
بها إطار أسود ..

دائرة تعني أن جسد (نشوى) قد صار وعاء
جديداً لتلك الظلال ..
للظلال القاتلة .

★ ★ ★

٨- الضحايا ..

فركت (مشيرة) كفيها في عصبية شديدة ، وهي
تدور كالنمرة الحبيسة ، داخل منزل الأستاذ (حسن) ،
الذي تابعها ببصره لبعض الوقت ، قبل أن يقول في
ضيق :

- لا فائدة مما تفعلينه يا سيّدة (مشيرة) .. لقد
تم فرض حظر التجوال بالفعل ، وجنود القوات الخاصة
يملئون شوارعنا ، والاتصالات كلها مقطوعة ، وليس
لأمك سوى الانتظار ، حتى انتهاء فترة حظر التجوال
في الصباح .

هتفت محنقة :

- ولكن لماذا ؟! لماذا يفعلون هذا ؟! إنها أول
سابقة من نوعها ، في أحداث كهذه ! .. هناك شيء
ما حتماً .. شيء بالغ الخطورة ، إلى الحد الذي
يدفعهم إلى تجاوز كل القواعد على هذا النحو .

تنهد الأستاذ (حسن) ، قتلًا :

- ربما ، ولكن ليس بيننا ما نفعه .

قالت صاخطة :

- سائير العالم كله على هذا التجاوز .. سائير

ما حدث عبر الأقمار الصناعية ، ...

قاطعها بحركة صارمة من يده فجأة ، وهو يهبط

من مجلسه في حدة ، فانتفضت هاتفه :

- ماذا هناك ؟!

أشار إليها مرة أخرى ، وهو يلتقط تمثالاً من

المعدن ، هامساً :

- شخص ما تصل إلى المطبخ .

تراجعت هاتفه في توتر :

- ماذا ؟!

تحرك في سرعة نحو المطبخ ، وهو يشير إليها

وإلى زوجته بالصمت ، ثم لم يلبث أن وثب داخل

المطبخ ، هاتفاً :

- توقف وإلا ..

تناهت إلى مسامعها جلبة في المطبخ ، فشبهت

زوجة (حسن) ، هاتفه :

- رباه ! (حسن) .

قبل حتى أن يكتمل هاتفها ، كان (حسن) يهرز

من المطبخ ، قائلاً في دهشة عصبية :

- لن يمكنكما تصديق هذا .

قالت ، ودفع صبيًا صغيراً إلى ردهة المنزل ..

واتسعت عينا (مشيرة) في دهشة بالغة ..

كان نفس الصبي ، الذي فاوضها من قبل ، بشأن

ذلك الفيلم ..

وبكل دهشتها ، هتفت (مشيرة) :

- ماذا تفعل هنا ؟! وكيف تجاوزت حظر التجوال ؟!

هز كتفيه ، قائلاً :

- لم يكن هذا عسيراً .. الجنود يقطعون الشوارع

في إيقاع رتيب ، وكنت أنتظر ابتعادهم ، لأعدو من

حديقة فيلا إلى أخرى ، حتى وصلت إلى هنا .

هتفت زوجة (حسن) مستكبرة :

- (هيثم) .. أنت جريء للغاية ! هل تعلم والدتك

أنك هنا ؟!

هز رأسه نفياً ، وهو يجيب في خجل :

- والدتي نائمة .

ثم استطرد في توتر :

- أعلم أن ما فعلته غير أخلاقي ، ولا يتناسب مع
التربية السليمة ، ولكن الضرورات تبيح المحظورات
كما يقولون .

قال الأستاذ (حسن) في سخرية :

- وما للضرورة هنا ؟

أجاب في سرعة :

- الفيلم .. أنتم تريدون الفيلم .. أليس كذلك ؟

بدت الدهشة على وجه الأستاذ (حسن) وزوجته ،

التي قالت :

- أي فيلم ؟

أما (مشيرة) ، فقد سألته في لهفة :

- هل أحضرت الفيلم معك يا (هيثم) ؟

هز رأسه في رصانة ، وهو يجيب :

- ستحصلين على الفيلم في الصباح ، مع انتهاء

فترة حظر التجوال ، على أن نتفق على السعر أولاً .

مرة أخرى ، بدت الدهشة على وجهي الأستاذ

(حسن) وزوجته ، في حين زفرت (مشيرة) ، قائلة :

- فليكن يا (هيثم) . كم تريد ثمنًا لفيلمك ؟

تتحنن الصبي ، وشذ قامته في اعتداد وحسم ،

وهو يجيب :

- مليون جنيه .

قفز الأستاذ (حسن) من مكانه ، صائحًا في
استنكار :

- مليون جنيه ؟! مليون جنيه ثمنًا لفيلم واحد ؟!

يبدو أنك مصاب بجنون للعظمة أيها الصبي ! لقد عملت

طيلة عمري ، ولم أر مليونًا قط .

وغضبت زوجته :

- عيكم هو المبالغة أيها الصغار .

دق الأرض بقدمه في عناد ، وهو يقول :

- لست مبالغًا .. لقد قرأت على شبكة الأنترنت أن

أحد المصورين الهواة قد حصل على مبلغ مماثل ،

عندما التقط مصادفة فيلمًا لسقوط طائرة مدنية ،

واعتقد أن فيلمي أكثر أهمية وخطورة .

أجابته (مشيرة) في حزم :

- اسمع يا (هيثم) .. سندفع مائتي ألف جنيه ،

مقابل هذا الفيلم .

اتسمت عينا الأستاذ (حسن) ، وهو يهتف

مستنكرًا :

- مائتا ألف ؟! لهذا الصبي ؟!

عاد (هيثم) يدق الأرض بقدمه ، قَلْبًا في عاد :
- مليون جنيه .. لن أنازل عنها قط :

قالت (مشيرة) :

- نصف مليون ، وهذا آخر عرض أقدمه لك .

قال في صرامة ، لا تناسب سنه :

- أنا قدمت عرضي الأخير بالفعل .

ثم عاد أدراجه إلى المطبخ ، مستطردًا :

- اقبلية أو ارفضيه .

هتفت به (مشيرة) في غضب :

- ليس هذا أسلوبًا للتعامل ..

قال بنفس الصرامة ، وهو يواصل طريقه :

- إنه أسلوبى .

هتف الأستاذ (حسن) ، وهو يضرب كفًا بكف :

- ماذا أصاب الصبية في هذا الزمن ؟!

وانعقد حاجبا (مشيرة) في غضب ، وهى تهتف :

- فليكن .

استدار إليها الصبى ، متسائلًا فى لهفة :

- هل تقبلين ؟!

أجابته فى صرامة :

- سنلتقى فى منتصف عرضك وعرضى .. مستدفع

لك (لُبَاء الفيديو) سبعمائة وخمسين ألف جنيه ،

مقابل الفيلم ، بشرط أن تكون قد سجلت فيه الحدث

كاملاً ، وعلى نحو جيد ، وإلا فالصفقة ملغاة .

اتسعت عينا الأستاذ (حسن) عن آخرهما ، فى

دهشة مستكرة ، وهو يحدث فى وجه الصبى ، الذى

بدت عليه علامات للتفكير العميق لبعض الوقت ، قبل

أن تتهلل لسأريره ، ويقول :

- لتفقتا .. سأحضر الفيلم فى الصباح .

قالها ، واختفى داخل المطبخ ، فى حين سقط فك

الأستاذ (حسن) السفلى فى بلاهة ، وهو يحدث فى

المطبخ ، قبل أن يعقد حاجبيه ، ويلتفت إلى زوجته

فى سخط ، قائلًا :

- هل رأيت كم كنت على حق ، عندما اقترحت

شراء آلة تصوير فيديو جديدة ؟!

ابتسمت (مشيرة) ، وهى تقول :

- هذا لا يكفى .. لابد أن تمتلك أيضًا مهارة الصبى .

مطُ شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :



انحنى أحد علماء فريق البحث الجديد ، يلتقط حقيبة
(نشوى) ، من بين حطام الانفجار ..

.. أنت على حق .

أما زوجته ، فقالت فى قلق :

.. هل تعتقدان أنه يستطيع العودة إلى منزله فى

أمان ؟!

أجابتها (مشيرة) ، وهى تجلس على أقرب مقعد

إليها :

.. إنه صهى ذكى ، وسيعود كما جاء ، و ...

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفع صوت أحد الجنود من

الخارج ، وهو يهتف فى صرامة :

.. أنت .. إلى أين تذهب ؟!

ثم أعقب الهمهمة صوت أشبه بالفحيح ..

صوت مدفع ليزرى ينطلق ..

ومعه انطلقت صرخة ألم ..

وهوت قلوب ثلاثهم بين أقدامهم ..

بعنف ..

★ ★ ★

انحنى أحد علماء فريق البحث الجديد ، يلتقط

حقيبة (نشوى) ، من بين حطام الانفجار الأخير ،

وغمغم وهو ينقلها إلى مائدة قريبة :

- اعتقد أن هذه ليست حقيبة الدكتور (وائل) ،
فلم يكن (رحمه الله) يميل إلى أجهزة الكمبيوتر
النقلة أبداً .

ألقي زميله نظرة على الحقيبة ، وقال :

- إنها حقيبة تلك للمرأة .. لبنة (نور) و (سلوى) ..
لقد شاهدها تحملها في الإدارة .. إنها مميزة بلونها
الوردي الفريد .

ابتسم العالم الأول ، قائلاً :

- يا للنساء وتقاليعهن للعجبية !

قال الثنائي في رصانة :

- الواقع أنها خبيرة كمبيوتر مدهشة ، وعبقريّة
للغاية ، بالنسبة لعمرها .

تطلع العالم الأول إلى الحقيبة في فضول ، قبل أن
يتسائل :

- ترى ما الذي تحمله في حقيبتها ؟!

أجابه الثنائي في سرعة :

- ليس من حقنا أن نفحص محتويات الحقيبة دون
علمها .

زمجر الجندي المصاحب لهما ، قائلاً :

- دعكما من هذه الحماقات الآن ، ففي ظل هذه
الظروف لا توجد سوى قاعدة واحدة .. افعل ما يدفئك
إلى الربح .

التفت إليه العالم للثنائي ، قائلاً في اعتراض :

- أيّا كان ؟!

أجابه الجندي في صرامة :

- أيّا كان .

تبادل العالمان نظرة قلقة ، فاستطرد الجندي ،

وهو بنوّح بمدفعه الليزري :

- هيا .. افتحا الحقيبة .

تردّد العالم الأول لحظة ، ثم ضغط زر قفل الحقيبة ،

ورفع غطاءها ، وهو يضمم :

- ما زلت لؤمن بأن هذا ليس من حقنا .

قال الجندي في صرامة :

- فليكن .

وعلى الرغم من شعورهما بالخجل مما يفعلانه ،

لم يستطع العالمان مقاومة فضولهما ، وهما يتطلعان

داخل الحقيبة ..

كانت حقيبة مثالية ، بالنسبة للعمل الخارجي ، تحوى

جهاز كمبيوتر نقال ، من أحدث الطرز المعروفة ،
وجهاز اتصال صغير دقيق ، يكفي لتوصيل الكمبيوتر
بكل شبكات المعلومات في العالم ، عن طريق الأقمار
الصناعية ، وطابعة ليزرية ملونة صغيرة ، وجهاز
نسخ أسطوانات مدمجة ، و...

وتلك الخزنة الإلكترونية الصغيرة ..

وبكل فضول الدنيا ، توقف بصر العالمين عند تلك
الخزنة الصغيرة ، وقال الأول ، وهو يشير إليها :

- هل تعرف هذه ؟؟

أجابه الثاني في صرعة :

- بالطبع .. إنها نمتلك مثلها في المركز .

قال الأول ، في اهتمام بالغ :

- هذا النوع من الخزائن الإلكترونية ، يحوى في
المعناد معلومات بالغة الأهمية والسرية .

التقط الثاني الخزنة في اهتمام ، وهو يقول :

- إنها مزودة برتاج إلكترونى معقد ، ونظام أمنى

خاص ..

ثم رفع عينيه إلى زميله ، مستطردًا فى تساؤل :

- هل تعتقد أنها تخص خبيرة الكمبيوتر ؟؟

قال الأول على الفور :

- ولماذا تحضرها معها إلى هنا ؟! المرء لا يحمل
أسراره فى حقيبتة ، وهو فى طريقه لفحص حادث
غامض .. الأكثر منطقية أن يحفظها فى خزنة خاصة ،
أو يتركها فى مكان آمن ، مثل مكتب الفريق ، داخل
إدارة المخابرات العظمى .

ثم قلب للخزنة الصغيرة بين أصابعه ، قبل أن
يشير إلى جزء من طرفها ، وهو يضيف فى حماس :

- ثم هذه الأحرف فى جانبها .. ولو .. شين .. ما الذى

يوحى به هذا ؟؟

هتف الثانى فى لهفة :

- للدكتور (وائل شوقي) .

كان الجندي يتابع حديثهما فى اهتمام بالغ ، عندما
خيل إليه فجأة أن ظل العالم الأول ، الملقى على
الجدار ، قد تحرك ، فى اتجاه مخالف لحركة العالم
نفسه ..

واتعقد حاجبا الجندي فى توتر ، وهو يحدث فى

ذلك الظل ، و...

وفجأة ، اعتدل الظل واقفاً ..

وتراجع الجندي كالمصعوق ، هلتفا :

- رياه !.. أي عبث شيطاني هذا !؟

ومع آخر حروف كلماته ، انقضّ عليه تلك الظل ..
وصرخ الجندي ، وهو يتراجع أكثر ، ويرفع فوهة
مدفعه الليزري ، وكأنما سيطلق أشعته نحو الظل
المخيف ..

وانتفت العالمان إليه ، إثر صرخته ..

واتسعت عيونهما في رعب وذهول ، أمام ذلك
المشهد الرهيب ..

لقد انقضّ الظل على الجندي ، ودار حوله بسرعة
مذهلة ، كسحابة من دخان داكن ، قبل أن يتجه إلى
مؤخرة عنقه مباشرة ..

وانتفض جسد الجندي في عنف ، واتسعت عيناه
في ألم ، وشعر بخنجر من النار يخترق مؤخرة عنقه ،
ثم يسرى في عروقه كاللهب ..

وانطلقت من حلقه صرخة ألم وذعر ..

ثم اتسعت عيناه عن آخرهما ..

وتألقا بذلك البريق ..

البريق الأحمر المخيف ..

وتراجع العالمان كالمصعوقين ، وأحدهما يهتف :

- رياه ! .. ما هذا !؟ .. ما هذا !؟

نقل الجندي عينيه المتألفتين بينهما في ببطء ، ثم
تجه نحوهما مباشرة ، فهتف أحدهما بزميله في ذعر :
- اضبط زر جهاز الاتصال .. اطلب النجدة على
الفور .

كان زميله يرغب في فعل هذا حقًا ، إلا أن الرعب ،
الذي سرى في عروقه ، جعل أصابعه تتجمد ، وتعجز
عن التقاط جهاز الاتصال الخاص من جيبيه ، في حين
واصل الجندي تحركه نحوهما ، ثم مذبذبه ، وأمسك
خزانة الأسطوانات الإلكترونية في قوة ، فصاح العالم
الأول ، وهو يتشبّث بها في استماتة :
- لا .. لا يمكنك أن تحصل عليها .

رفع الجندي فوهة مدفعه الآلي في ببطء ، و ..

وضغط الزناد ..

وانطلق شعاع الليزر القاتل ، يخترق صدر العالم ،
وينتزع من مكانه ، ليضرب به الجدار في عنف ،
قبل أن يسقط أرضًا جثة هامدة ، وتسقط الخزائنة من
يده ..

وصرخ للعالم الثانى :

- لا .. لا تقتلنى .. أرجوك .. للرحمة .

أدار الجندى عينيه المخيفتين إليه فى بطاء ، ثم
انحنى يلتقط الخزائنة . واستدار ليفادر المكان فى
هدوء ..

واتسعت عينا العالم أكثر وأكثر ، وهو يتابع ابتعاد
الجندى ..

ثم فجأة ، انطلقت من حلقه صرخة ..

صرخة مكتومة ، حملت كل رعب وذعر الدنيا
كلها ..

ثم انطلق يحدو بفتة ..

لم يدر لماذا أقدم على هذه الخطوة الحمقاء ،
ولكن يبدو أن الخوف قادر بالفعل ، على شل عقل
عبرى مثله ، ودفعه إلى القيام بأسخف شيء يمكن
أن يتخيله المرء ، فى لحظات الخطر ..

فمع انطلاقته المباغتة ، استدار إليه الجندى مرة
أخرى ، ورفع فوهة مدفعه الليزرى ..

ثم اطلق النار ..

وعلى الرغم من سرعة اندفاع الرجل ، إلا أن

طلقة الليزر القوية ، التى أصابته فى صدره ، اقتلعت
من مكتبه فى عنف ، ودفعته أمامها لأربعة أمتار
كاملة ، قبل أن يرتطم بطرف الجدار المحطم ، وينقلب
خارجة جثة هامدة ..

وفى هدوء مثير ، اعتدل الجندى ثانية ، وتألفت
عيناه أكثر وأكثر ، وهو يفادر الفيلا ، ويستقر واحدة
من سيارات الجيب العسكرية ، ثم ينطلق بها مبتعدا ..
وبأقصى سرعة ..

★ ★ ★

تجمد جسد (نور) كله فى ارتياح . عندما وقع
بصره على تلك الدائرة المحترقة ، فى أعلى مؤخرة
عنق ابنته ، وسرت فى جسده رجفة عجيبة . عندما
سأله (رمزى) :

- ماذا وجدت يا (نور) ؟!

أعاد (نور) خصلات شعر ابنته إلى موضعها ،
وهو يغمغم :

- لا شيء .

تطلع إليه الثلاثة فى حيرة وشك ، قبل أن ترفع
(نشوى) يدها ، وتتحنس مؤخرة عنقها ، ثم تهتف :

- رباه ! .. ما هذا ؟!

أسرع إليها (رمزي) ، وألقى نظرة على الدائرة المحترقة بدوره ، قبل أن يقول في توتر :

- إننى لم أر شيئاً كهذا من قبل قط ! إنه أشبه بحرق ناتج عن جسم ملتهب مستدير !

تحسنت (نشوى) الدائرة مرة أخرى ، وقالت في خوف :

- ولكنها لا تؤلمنى ، بل ولست أشعر بها على الإطلاق .

ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، مستطردة ، وقد اغرورت عيناها بالدموع :

- ما الذى يعنيه هذا يا أبى ؟

صمت لحظة ، ثم هز رأسه ، مجيباً :

- لست أدري يا (نشوى) .. حتى هذه اللحظة لست أدري .

أما (أكرم) ، فقد ظل صامتاً ، يتطلع إليها فى أسى ومرارة ، قبل أن يقول :

- لن نسمح لأى شخص ، أو أى شيء بأن يمسك بسوء .

التفتت إليه ، والدموع تسيل من عينيها ، قائلة :

- ما الذى يعنيه هذا يا (أكرم) ؟!

تبادل (نور) و (أكرم) نظرة صامتة بآسفة ، قبل أن يجيب الثانى :

- صدقيني يا (نشوى) .. لا أحد يمكنه الجزم ، حتى هذه اللحظة .

نقلت بصرها بينهما بضع لحظات ، قبل أن تقول فى مرارة :

- إنهم داخلى .. اليس كذلك ؟!

ولم ينبس أحدهم ببنت شفة ..

وكان هذا بالنسبة إليها أبلغ من أى جواب ..

واتهمرت الدموع من عينيها أكثر غزارة ، وهى تكمل :

- الموت هو النتيجة الحتمية إذن .

أجابها (رمزي) فى حزم :

- لن نسمح بحدوث هذا أبداً .

ارتفع صوت قلق فى تلك اللحظة ، يقول :

- ما هذا الذى لن تسمحوا بحدوثه ؟!

التفت أربعمهم إلى مصدر الصوت ، وهتف (نور) :

- يا إلهي ! (سلوى) ؟! لماذا غادرت فراشك ؟!
المفترض أن تظلى نائمة حتى الصباح !!
وهتفت (نشوى) ، وهى تمسح دموعها :
- أمى .. حمداً لله على سلامتك .
اندفعت (سلوى) نحوها ، وتعانقتا فى حرارة ،
وهى تقول :
- لم يكن من الممكن أبداً أن أظل فى فراشى ،
دون أن أطمئن على سلامتك .
هتفت (نشوى) :
- أنا بخير .. صدقيني .. أنا بخير .
رَبَّتْ (سلوى) عليها فى حنان ، ثم التفتت إلى
(نور) ، تسأله :
- ما الذى لن تسمحوا بحدوثه يا (نور) ؟!
أجابها فى حزم :
- الإساءة إلى أى واحد منا يا (سلوى) .
أتاه صوت صارم ساخر ، يقول :
- هذا لو أنكم تستطيعون منعها أيها المقدم .
التفت الجميع إلى العقيد (باسل) ، الذى تقدم
داخل الحجرة بابتسامة شامتة ظافرة كبيرة ، فقال له
(نور) فى برود :

- ترى أية رياح باردة ألقت بك هنا أيها العقيد ؟!
أجابه العقيد (باسل) :
- إبنى هنا فى مهمة رسمية أيها المقدم .
قال (لكرم) فى سخرية :
- هل ستمنعنا من التجوال ، فى المستشفى أيضاً ؟!
رمقه العقيد بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :
- بالنسبة إليكم ، سينتهى حظر التجوال بعد ساعة
واحدة من الآن .
تبادل الجميع نظرة قلقة ، قبل أن يتسائل (نور)
فى حذر :
- ولماذا ؟
تطلع إليه (باسل) بنظرة صارمة شامتة ، قبل أن
يجيب ، وهو يشذ قامته فى زهو ظافر :
- لقد صدرت الأوامر بإعانتكم إلى (القاهرة)
فوراً .
تفجرت دهشة جديدة فى أعماقهم ، وقال (نور)
فى عصبية :
- ما الذى يحدث بالضبط أيها العقيد ؟! أهو انقلاب
عسكرى لم ماذا ؟!

هزّ العقيد (بامل) رأسه نغياً في بطنه ثقيل ، قبل
أن يجيب :

- لا توجد أية انقلابات عسكرية أو سياسية ليها
المقدم .. الأمور كلها تسير على ما يرام .. إنها أوامر
قيادتك في (القاهرة) ، ومهمتي هي تنفيذها فحسب .
قال (أكرم) في حدة :

- ولماذا انقلبت علينا قيادتنا في (القاهرة) على
هذا النحو ؟! لماذا نقلتينا فجأة ، من خاتمة المخلصين
إلى قائمة للخونة ؟!

أجابه في صرامة :

- اطرح أسئلتك في (القاهرة) .

ثم أشار إلى رجاله ، فارتفعت فوهات مدافعهم
الليزرية في وجوه الجميع ، قبل أن يقول بنفس
الصرامة الشامتة الساخرة :

- أسلحتكم ليها السادة .

سأله (نور) في غضب :

- هل المطلوب إعانتنا أم اعتقالنا ؟!

أجابه العقيد في صرامة :

- سحب أسلحتكم إجراء وقائي أيها السادة .. لست

أرغب في حدوث احتكاكات أو مواجهات غير محسوبة ،
لمجرد أن الأعصاب ثائرة متوترة .. سأعيد إليكم
أسلحتكم ، خارج حدود منطقة الحصار .
تبادل (نور) و (أكرم) و (رمزي) نظرة متوترة ،
قبل أن يسلم الأول والثاني سلاحيهما للجنود ، ويقول
الثالث في توتر :

- لست أحمل أية أسلحة .

أجابه العقيد (بامل) :

- أصنّفك .

قال (نور) في حزم :

- وماذا عن (سلوى) و (نشوى) ؟!

سأله في صرامة :

- ماذا عنهما ؟!

أجابه (نور) :

- حالتهم لا تسمح بنقلهما خارج المستشفى ، في

الوقت الحالي .

أدار (بامل) عينيه إلى (سلوى) و (نشوى)

لحظة ، بدت عليه خلالها علامات التفكير العميق ،

قبل أن يعيد عينيه إلى (نور) ، قائلاً :

- فليكن .. يمكنهما البقاء ، حتى تتحسن حالتها .
 وأدار عينيه في وجوه الرجال الثلاثة ، مستطردًا :
 - المهم أن أصحب ثلاثكم الآن .
 ران على الحجرة صمت ثقيل لبضع لحظات ، قبل
 أن يقول (نور) :
 - فليكن .
 ثم أضاف في حزم :
 - ولكنني سأحدث إلى زوجتي وابنتي أولاً .. وحدنا .
 صمت العقيد (باسل) لحظة ، وهو ينظر إليه في
 شك ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :
 - فليكن .. أمامكم بقيقة واحدة .
 ثم أشار إلى رجله ، وغادر الجميع حجرة (نشوى) ،
 وتركاه فيها مع ابنته وزوجته ، ولم يكد الباب يغلق
 خلفهم ، حتى قالت (سلوى) في توتر :
 - ماذا يحدث يا (نور) ؟
 أجابها في حزم :
 - دعينا من هذا الآن ، فلوقت أضيق من أن نضيعه
 في محاولات للتفسير ، وذلك المفرور منحنا بقيقة
 واحدة .

ثم أمسك يدي ابنته وزوجته ، مستطردًا :
 - اسمعني جيدًا .. اسمعيني أنت بالذات يا (سلوى) ..
 (نشوى) تواجه مشكلة ، لاندري كنهها بالضبط ..
 ربما أمكنها أن تشرحها لك ، ولكنك مثلنا ، لن تجدى
 تفسيرًا واضحًا .. كل ما أطلبه منك هو أن تنتقلي
 للإقامة في حجرتها ، حتى تنتهي هذه الأزمة .. امنعها
 من التحرك بأية وسيلة ، حتى لو اضطررت لتقيدها
 بالأغلال في فراشها .
 هتفت (سلوى) مذعورة ، وهي تحتضن ابنتها
 في قوة :
 - (نور) .. ماذا أصاب (نشوى) بالضبط ؟
 تنهد مخمفًا :
 - لست أرى يا (سلوى) .. صدقيني .. لست أرى .
 برز العقيد (باسل) في هذه اللحظة ، قائلاً في
 صرامة :
 - هيا ليها للمقدم .
 صمت (نور) لحظة في ضيق ، ثم انتزع من
 أعماقه ليتسامة ، ألغاهما على شفثيه ، وهو يقول
 لزوجته وابنته :

- إلى اللقاء .. سأنتظركما في (القاهرة) .
لم تنبس إحداهما ببنت شفة ، وهو يغادر الحجرة ،
وإن أسرع (سلوى) إلى النافذة ، لتطلع إلى
الثلاثة ، وهم يستقلون سيارة (جيب) عسكرية ،
انطلقت بهم على الفور ، خلف سيارة العقيد (بصل) ،
ثم التفتت إلى ابنتها ، قائلة في توتر :

- لست أدري لماذا أشعر بقلق شديد هذه المرة ؟!
حاولت (نشوى) أن تبتسم ، وهي تقول :

- أنت تشعرين بالقلق دائما يا أمي .
تنهدت (سلوى) في حنينة ، وهي تعود إليها ،
قائلة :

- هذا أمر طبيعي يا بنيتي .. إتنى أحب والدك
كثيرا ، وأشعر بالقلق كلما ابتعد عني .
وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف في ضيق متوتر :

- وبالذات في مثل هذه الظروف .
وافقتها (نشوى) بإيماءة من رأسها ، مغمضة :

- أنت على حق .. أنا أيضا أشعر بالقلق على
(رمزي) ، و ..

قاطعتها (سلوى) في توتر :

- دعينا من كل هذا الآن ، وأخبريني : ما المشكلة
التي تحدث عنها والدك ؟!

تحسنت (نشوى) مؤخرة عنقها ، مغمضة :
- لست أدري يا أمي في الواقع .. لست أدري ..
كل ما في الأمر أن ..

قبل أن تتم عبارتها ، ارتفعت فجأة صرخة رعب
قوية قريبة ، فهتفت (سلوى) ، وهي تقفز من
مكثها مذعورة :

- رباه ! .. ماذا حدث ؟!
اتسعت عينا (نشوى) دون أن تجيب بحرف
واحد ، وإن راح قلبها يخفق في عنف ، وكأنها تشعر
بما سيحدث ..

ثم أطلقت (سلوى) صرخة رعب مكتومة ، وكاد
قلب (نشوى) يتوقف عن النبض دفعة واحدة ...
فمن باب حجرتها المفتوح ، دخل ذلك الجندي ..
جندي القوات الخاصة ، الذي أتى من فيلا الدكتور
(وليل) ..

للجندي الذي تطلع إليهما لحظة ، بعينه المتلفتين ،
بلونهما الأحمر الرهيب ، ثم تقدم نحوهما مباشرة ..

وتقدم ..

وتقدم ..

★ ★ ★

لأكثر من عشر دقائق كاملة ، لم ينبس أحد الثلاثة ،
(نور) و (أكرم) و (رمزي) ، بحرف واحد ، والسيارة
تنطلق بهم نحو حدود مدينة (السادس من أكتوبر) ،
وامامها سيارة العقيد (باسل) الخاصة ..

كان كل واحد منهم يسبح ، في بحر خاص من
الأفكار ..

(رمزي) كان يعصر عقله ، ويراجع كل معلوماته
الطبية ، في محاولة لإيجاد تفسير طبي علمي ، لتلك
البقعة المستديرة المحترقة ، في أعلى مؤخرة عنق
زوجته ..

كل خلية في جسده كانت تشعر بالقلق ، دون أن
يجد ذلك التفسير ..

وربما كان هذا هو الخوف ، الذي تحدث عنه ، مع
(سلوى) و (نشوى) ..

الخوف من المجهول ..

المجهول الذي نخشاه ، لأننا نجهل ماهيته وقوته
ومداه ..

و (أكرم) كان يشعر بتوتر شديد ، وهو يتابع
سيارة العقيد (باسل) طوال الوقت ..

لم يكن يشعر بالأمان أبدًا ، في وجود ذلك الرجل ..
ولم يثق به مطلقًا ..

بل لقد تساءل في غضب ، كيف يمكن لمثله أن
يتولى عملاً قياديًا ، في الجيش المصري ؟

وفي القوات الخاصة بالتحديد ؟

كيف يمكن أن تسند إليه مهمة كهذه ؟

بل كيف يمكن أن يثق أحد بإخلاصه ونكاته ؟

كيف ؟

أما (نور) ، فقد كانت أفكاره أكثر قلقًا وخطورة ..
وأكثر تشعبًا ..

لقد شملت أفكار زميليه ، بالإضافة إلى أفكاره
الخاصة ..

كان يشعر بالقلق على زوجته وابنته ، اللتين
أجبرته الظروف على تركهما خلفه ، داخل حزام
الخطر المجهول ..

ويشعر بالخوف على ابنته ..

تُرى هل احتلت تلك الظلال جسدها بالفعل ؟

هل ستسيطر عليها ، كما فعلت مع غيرها ؟
ولكن متى حدث هذا ؟
وكيف ؟

ثم لماذا اتخذت الإدارة هذا الموقف العدائي ، منه
ومن فريقه ؟

لماذا أسندت مهمة كهذه إلى القوات الخاصة ؟
كيف يمكن لعقالية محدودة ، مثل عقالية العقيد
(باسل) ، أن تتولى أمراً كهذا ، بكل غموضه وخطورته
وعنفه ؟

من اتخذ هذا القرار ؟

أهو القائد الأعلى ؟

أم وزير الدفاع ؟

أم أنها القيادة السياسية مباشرة ؟

ولمصلحة من تم اتخاذ مثل هذا القرار ؟

لقد تولّى وفريقه عشرات المهام ، وحققوا النصر
فيها كلها ..

لا أحد يمكن أن يشك لحظة واحدة ، في قدرته
ونزاهته ..

أو في براعة فريقه وإخلاصه ..

لا أحد ..

فلماذا تتم معاملتهم بهذا الأسلوب السخيف الآن ؟

لماذا ؟

لماذا ؟

« ما الذي حدث بالضبط ؟ »

نطق (أكرم) العبارة في توتر ، فاتتبه (نور) ،
في تلك اللحظة فقط ، إلى أن السيارة (الجيب) قد
توقفت ، في منتصف الطريق ، وكذلك سيارة العقيد
(باسل) ، الذي غادرها في هدوء ، وأشار بيده لقائد
السيارة الأخرى ، فالتفت إلى الجنود المصاحبين لهم ،
قتلاً :

- أخرجوهم ..

لم يشعر (نور) أو (أكرم) أو (رمزي) بالارتياح
لبدا ، وهم يغادرون السيارة ، ويقفون إلى جوارها ، في
العراء والظلام ، وعلى مسافة كبيرة من أقرب منطقة
مأهولة ، فقال (نور) في صرامة :

- ما الذي سنفعله هنا بالضبط ؟

أجابه العقيد (باسل) في سخرية :

- لا تتعجل الأمور أيها المقدم .. ستعرف كل شيء

بعد قليل .

قال (أكرم) في عصبية :

- ولماذا لا تعرفه الآن ؟!

التفت إليه في صرامة ، مجيباً :

- لأنني لا أريد هذا .

اتخذ حاجباً (أكرم) في غضب ، ولاذ (رمزي)

بالصمت في توتر شديد ، في حين قال (نور) في

غضب صارم :

- اسمعني جيداً أيها العقيد ..

صاح (بادل) يقاطعه في حدة :

- اسمعني أنت أيها المقدم .. ما دمنا هنا ، فستسمعني

أنت ، وستكلم أنا فقط .

ثم عقد كفيه خلف ظهره ، وراح يسير جينة

وذهاباً في صمت عصبى ، قبل أن يتوقف مرة أخرى

أمام (نور) ، ويرمقه بنظرة تحمل كل مقت وكراهية

الدنيا ، ثم يقول في صرامة عصبية :

- لا يمكنك أن تتصور كم أبغضك يا سيد (نور) .

قال (نور) في دهشة :

- تبغضني ؟! ولماذا ؟!

صاح به :

- لأنك صورة لكل ما أبغضه في حياتي .

وعاد يعقد كفيه خلف ظهره ، ويتحرك متابعاً في

انفعال :

- أنت رجل مخابرات علمي ، ولكنك وسيم ، أنيق ،

ذكي .. وشهير أيضاً .. كل مخلوق في العالم يعرف

أنك (نور الدين محمود) .. ضابط المخابرات العلمية

المصرية ، الذي قاد كتائب المقاومة ، في أثناء غزو

الأرض (*) ، والذي تحرر الكوكب بفضلته في النهاية .

قال (نور) في صرامة :

- بفضل الله (سبحانه وتعالى) .

قلب (بادل) شفثيه ، قللاً :

- كفك تظاهراً بالإيمان والتواضع أيها المقدم ،

فهذا لن يفيدك هنا .

تطلع إليه (رمزي) لحظة ، ثم قال في حزم :

- يبدو أن المشاعر قد اختلطت في أعماقك ،

فما تشعر به ليس البغض ، وإنما هو الغيرة والحقد ..

(*) راجع الأجزاء الخمسة : (الاحتلال) ، و (المقاومة) ،

و (الصراع) ، و (التحدي) ، و (النصر) .. المغامرات أرقام ٧٦ ،

٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠

إنك تغار من (نور) ؛ لأنه حقق كل ما كنت تصبو إليه في حياتك .

لَوْح العقيد بذراعه ، صائحاً في غضب :

— هذا أيضاً أكرهه .. التحنلق والغباء ، وعدم القدرة على فهم الآخرين .

قال (نور) في صرامة :

— هل تعتقد أن (رمزي) لم يحسن فهمك بالفعل ؟! أجابه في تحد :

— لا تحاول أيها المقدم .. إتنى حتى أبفض ذكاءك هذا .

ثم تراجع ، مستطرداً :

— ويبدو أنني لست الوحيد الذي ضاق بك ، والذي تمنى التخلص منك أيها المقدم .. إدارتك أيضاً تمت هذا .

بنت الدهشة على وجهي (رمزي) و (أكرم) ، ممتزجة بقلق لا حدود له ، في حين عقد (نور) حاجبيه في شدة ، وهو يغتم :

— إدارتي ؟!

تراجع العقيد (باسل) أكثر وأكثر ، وهو يشير بيده لجنوده ، قائلًا :

— بالطبع أيها الأحمق .. لقد صدرت لي أوامر مباشرة ، بالتعامل معكم بالخطوة (ألف دال) .. هل تعلم ما هي (ألف دال) ؟!

ارتفعت فوهات مدافع الليزر ، في وجوه (نور) و (رمزي) و (أكرم) ، والعقيد (باسل) يضيف في حزم شامت جنل :

— إنها تعني إعدام الدليل .

ثم خفض يده ، هاتفاً في سخرية شامتة :

— اللوداع يا منقذ الأرض ..

وانطلقت خيوط الليزر وسط الظلام ..

بلا هوادة .



[تم الجزء الأول بحمد الله]

[ويليه الجزء الثاني بإذن الله]

(الظلال الرهيبة)



د. نبيل فاروق

**ملف
المستقبل
مسئلة
روايات
بوليسية
للشباب
من الخيال
الملمى**

121

التمن في محضر ٢٠٠
ومايعانه بالدولار الأمريكى
في سائر الدول العربية والعالم

المجهول

- ما سر تلك الضجوة ، التي نشأت بين عالمين ،
إثرا انفجار محدود ١٩
- ما تلك الظلال ، التي تهاجم البشر ،
وتحتل عقولهم وأجسادهم ١٩
- ترى هل يستطيع (نور) وفريقه مواجهة
كل هذا الرعب ، والوقوف في وجهه
(المجهول) ١٩
- اقيرا التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور)
وفريقه .. من أجل الأرض ..



العدد القادم ، الظلال الرهيبة